الموسوعة الصغيرة

٣٢٤

الشريف الرضي بلاغيا

٣٥٩ ـ ٤٠٦ للهجرة

تأليف

مناهل فخر الدين فليح

الموسوعة الصغيرة

سلسلة ثقافية تتناول مختلف العلوم والفنون والاداب

تصدر عن دار الشؤون الثقافية العامة

اشتريته من شارع المتنبي ببغداد
في 15 / شوال / 1444 هـ
الموافق 05 / 05 / 2023 م

سرمد حاتم شكر السامرائي

١٩٩٠

وزارة الثقافة والاعلام
دار الشؤون الثقافية العامة

العراق – بغداد/اعظمية ص – ب ٤٠٣٢ – تلكس ٢١٤١٣
هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

م. سرمد حاتم شكر

طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة « آفاق عربية »
رئيس مجلس الادارة :
الدكتور محسن جاسم الموسوي
حقوق الطبع محفوظة
تعنون جميع المراسلات
بأسم السيد رئيس مجلس الادارة
العنوان :
العراق - بغداد/اعظمية ص-ب ٤٠٣٢ - تلكس ٢١٤١٣
هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

الشريف الرضي بلاغيا

٣٥٩ـ٤٠٦ للهجرة

بحث مقدم من الدكتورة مناهل فخرالدين فليح
استاذة مساعدة في قسم اللغة العربية
كلية الآداب ـ جامعة الموصـل

الطبعة الاولى ١٩٩٠ ـ بغـداد

المقدمة

عندما احتفلت الأوساط الأدبية في بغداد بالذكرى الالفية للشريف الرضي ، خلت انه سيوفي حقه في هذه المناسبة ، وسيجلى بلاغياً ومفسِّراً ودارساً للحديث ، وسيكشف عن نشاطه في اللغة والنحو ، ذلك لأن ثراءه في هذه العلوم لا يقل عما هو عليه في الشعر • لكن الدراسات المشاركة في الاحتفال انصبّت ثانية في مجرى شعره وأدبه • لذا وجدت ان مما توجبه وشائج العلم ــ وأنا متخصصة بالبلاغة العربية ــ ان أكشف النقاب عن الشريف الرضي بلاغياً، علّي أستطيع أن أقضي حقاً وأنفع باحثاً • واني أدعو الدارسين الى الاسهام في تناول الجوانب الأخرى

لديه ، لتكتمل بذلك دائرة معرفته ويكون مصدر غنى علمي ، كما كان مصدر غنى أدبي للعراق والأمة العربية والاسلامية •

ومن هنا كان هذا البحث ، وقد تناولت فيه سيرته باقتضاب ، وذكرت كتبه البلاغية والتي تمتّ الى البلاغة بصلة ، ووصفتها بما يمهد للكلام على بلاغته ، ثم أفضت في دراسة منهجه وأسلوبه في البحث البلاغي ، وأحطت بآرائه البلاغية واستقصيت الموضوعات البلاغية التي عالجها ، وخلصت من هذا الى القول بأن جهود الشريف الرضي البلاغية تشكل حلقة رابطة في سلسلة تطور البلاغة العربية لا يستغني عنها دارس البلاغة والباحث فيها •

هذا وأدعو الله ــ تعالى ــ أن يوفقنا جميعاً لخدمة وطننا وأمتنا في إحياء تراثنا المجيد ليكون لمعاً وهاجة تنير لنا درب التقدم العلمي •

سيرة الرضي :

هو أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى ، يرجع نسبه الى الامام علي ــ رضي الله عنه ــ والشريف الرضي لقب خلعه عليه بهاء الدولة ، من ملوك البويهيين(١) .

ولد في بغداد سنة تسع وخمسين وثلاثمائة للهجرة ، ونشأ في بيت عز وجاه ، كان أبوه جليل القدر عظيم المنزلة في دولة بني العباس وبني بويه ، ولي نقابة الطالبيين خمس دفعات ، وكانت أمه فاطمة بنت الحسين بن الحسن الناصر صاحب الديلم ،فاضلة محبة للعلم ، ومما يروى عنها أنها أحضرت ولديها محمداً الرضي وعلياً المرتضى الى الفقيه المفيد أبي عبدالله محمد بن النعمان ليعلمهما الفقه(٢) .

وتتلمذ الشريف الرضي بعد ذلك على بضعة عشر شيخاً في النحو واللغة وعلوم القرآن والحديث

والأدب[٣] وحفظ القرآن الكريم بعد أن جاوز الثلاثين من عمره •

أما العصر الذي تفيَّأ الرضي ظلاله فهو عصر امتدت اليه حضارة الرشيد والمأمون ، وزاده ازدهاراً تنافس الدويلات التي أعقبت العباسيين كالدولة البويهية والحمدانية على الفوز بالمجد ، فما كان منها إلاّ أن تشجع العلم والعلماء وتستبق في تقديم الهبات والخدمات للشعراء والأدباء ، فلمعت لذلك أسماء علماء وشعراء وكتّاب ، احتلت صفحات مشرقة في سجل الخالدين ، منهم : المتنبي وأبو فراس الحمداني والسيرافي وأبو علي النحوي وابن جنّي وأحمد بن فارس والازهري والجوهري والطبري وأبو هلال العسكري وابن نباته والصابىء وابن العميد والصاحب بن عباد • وقد كانت للشريف الرضي علاقة تلمذة ببعضهم مثل ابن جني والسيرافي والطبري وابن نباته، أو علاقة صداقة مثل الصابي •

شهد الرضي عهود ثلاثة خلفاء عباسيين ، هم :

المطيع والطائع والقادر ، وأدرك خمسة من ملوك البويهيين ، والذي اتصل به منهم هو بهاء الدولة ومدحه وهو ملك على العراق في (٣٧٩ـ٤٠٣هـ) وعندما توفي حزن عليه ورثاه .

في هذه الاجواء نمت مواهب الرضي وتكاملت شخصيته ، فاستوى شاعراً أديباً عالماً ، عفيف النفس ، عالي الهمة ، ملتزماً بما يقضي عليه دينه ونسبه ومنشؤه فاستحق بذلك ولاية نقابة الطالبيين وديوان المظالم وامارة الحج(٤) لكن العمر لم يطل به ، فقد توفي سنة ست واربعمائة للهجرة في بغداد عن سبع وأربعين سنة ـ رحمه الله تعالى ـ .

مؤلفاته البلاغيـة :

للرضي عدة مؤلفات ، منها ديوان شعر طبـع في مجلدين ومختارات أدبية شعرية ، وله كتب في علـوم القرآن وفي البلاغـة ، أذكر منها ما جسّد نشـاطه البلاغي واعتمدته أساساً في بحثي هذا :

(١) تلخيص البيان في مجازات القرآن :

نشره محمد المشكاة ، ثم نشرته دار إحياء الكتب العربية في مصر بتحقيق محمد عبدالغني حسـن سنة ١٩٥٥ ، وقد اعتمدت هذه الطبعة في بحثي .

والكتـاب دراسة بيانية تطبيقيـة ، قامت على متابعة المجازات والاستعارات في كلام الله ـ تعالى ـ سورة سورة وآية آية وفق ترتيبها في القرآن الكريم . وهـو أول كتاب كامل مسـتقل بذاته ألّف لغرض واحد ، فهو يقوم في التراث العربي الاسلامي وحـده شاهداً على ان الشريف الرضي خطا أول خطـوة في

التأليف في مجازات القرآن بمعناها الاصطلاحي ،ومن هنا كانت القيمة العلمية والتأريخية لهذا الكتاب .

ويشير اليه مصنفه في مخاطبته لأحد أصحابه : « فاني عرفت ماشافهتني به من استحسانك الخبيئة التيأطلعتها والدفينة التي أثرتها من كتابي الموسوم بتلخيص البيان في مجازات القرآن ، واني سلكت من ذلك ، محجة لم تسلك وطرقت باباً لم يطرق(٥) . حقاً ان الخبيئة التي أطلعها الرضي نالت الاستحسان بشرف موضوعها وقدم زمانها وسلامة منهجها القائم على استغراق كلام الله ـ تعالى ـ للتنبيه على مواضع المجاز فيه ،وبيان نوع هذا المجاز ، وإذا ورد في الآية موضع مجاز قد تقدم الكلام على نظير له أو ما يقوم مقامه اقتصر على القول الاول طلباً للاقتصاد ووقوفاً دون الابعاد ، وقد تبلغ السورة مثلا مائتين أو أكثر من الآيات فلا يخلص منها على المجاز بضع عشرات من الآيات ، أما البقية فلم يتعرض الرضي لها ، وإن خلت السورة من المجاز جملة فانه يشير الى ذلك ويتركها .

والكتاب تفرّد بتفسير القرآن تفسيراً بيانياً ، واختص بمجازه ، وبذلك اختلف عن كتب التفسير الأخرى التي تفسر الآيات كلها تفسيراً لغوياً ، واختلف أيضاً عن كتب الاعجاز التي تناولت بلاغة القرآن وفصاحته جميعاً وقضايا اعجازه الأخرى ، وقد يكون في ذلك تبديد للجهد المبذول ، فجاء ـ كما قال عنه ابن خلكان ـ : « نادراً في بابه »[٦] لا يستغني عنه المعني بالقرآن وبالبلاغة .

(٢) المجازات النبوية :

كتاب آخر طبع عدة طبعات في العراق ومصر ، وقد اعتمدت طبعة الدكتور طه محمد الزيني المنشورة عام ١٩٦٧م .

وضع هذا الكتاب على غرار الكتاب السابق ، واشتمل على بيان وجوه المجاز والاستعارة والكشف عن مواقع النكت البلاغية والطرف البيانية في ٣٦١ حديثاً من أحاديث رسول الله ـ صلى الله عليه

وسلم - • واعتمد مصنفه على استخراج ما يتضمن الغرض الذي ينحو نحوه كتب غريب الحديث وأخبار المغازي المشهورة ومسانيد المحدثين الصحيحة، وأضاف اليه ما يليق بهذا المعنى من جملة كلامه - عليه الصلاة والسلام - الموجز الذي لم يسبق الى لفظه مما اتقن الرضي بعضه رواية ، وحصل بعضه اجازة ، وخرّج بعضه تصفحاً وقراءة[٧] •

وبهذا اكتسب الكتاب قيمة علمية وعدّ مصدراً أصيلا في الحديث والبلاغة واللغة • وتمّ للرضي ما أراد عندما قصد أن يكون كتاباه المذكوران «لمعتين[٨] يستضاء بهما وعرنينين[٩] لم يسبق الى قرع بابهما»[١٠] فهما حقاً أولان في بابهما •

(٣) نهج البلاغة :

كتاب ثالث طبع طبعات كثيرة ، وتناوله كثيرون بالشرح حتى بلغت شروحه أكثر من سبعين شرحاً ،

أشهرها وأوسعها شرح عزالدين بن أبي الحديد المدائني .

اشتمل هذا الكتاب على مختار كلام الامام علي ـ رضي الله عنه ـ لأنه ـ كما يقول الرضي ـ يتضمن من عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة، وجواهر العربية ، وثواقب الكلم الدينية والدنياوية ما لا يوجد مجتمعاً في كلام ولا مجموع الأطراف في كتاب[١١] ورأى الرضي ان كلام الامام علي يدور على أقطاب ثلاثة ، أولها ، الخطب والأوامر ، وثانيهما ، الكتب والرسائل ، وثالثها ، الحكم والمواعظ ، فرتّب الكتاب على هذا النسق ، وسماه نهج البلاغة ، لأنه ـ على حد قوله ـ « يفتح للناظر فيه أبوابها ويقرّب عليه طلابها، وفيه حاجة العالم والمتعلم ، وبغية البليغ والزاهد»[١٢] .

وللكتاب قيمة كبيرة لما احتوى عليه من فوائد ولما تعلق به من كتب شرحته وقرّبته الى الدارسين ، وهذا إن دل على شيء فانما يدل على حسن اختيار الرضي ، وقديماً قيل : اختيار الرجل قطعة من عقله .

هذه هي المصادر البلاغية التي اعتمدتها أساساً في البحث • استقيت منها بلاغــة الرضي ، يضاف اليهــا مصدر رابع له علاقة بالبلاغة ، أخذت منه نزراً يسيراً ، وهو :

(٤) حقائق التأويل في متشابه التنزيل :

كتاب كبير يقع في عدة أجزاء قيل انها عشرة ، لم يعثر إلاّ على الجزء الخامس منها ، شرحه محمد الرضا آل كاشف الغطاء ، ونشره منتدى النشر في النجف •

ألّف الرضي هــذا الكتاب في شــرح وتفسير المتشابه من آي القرآن الكريم ، وعلى نمط فريــد في التأليف ، إذ يعقد لكل آية من المتشابه مسألة قائمــة بنفسها مقطوعة حلقة الاتصال بطرفيها من اخواتها إلاّ الاشتراك في البحث عن متشابه الآي ، فكان ســبعاً وثلاثين مسألة تحلّ عقود الامر المشتبه في سبع وثلاثين آية ، ولكل مسألة استقلالها العلمي وفائدتها الخاصة ، وبهذا اختلف عن مؤلفات علم التفسير ، ومن مميزاته

أيضاً ان المؤلف فيه يذهب يميناً وشمالا في الآيات غير المتشابهة حتى ليجعل القارىء يجوس خلال جملة القرآن ، عارفاً بمناسبات آياته ومعانيها ، ويقف على مسائل وفوائد في النحو واللغة ، وهذا ما دعا ابن جنّي الى القول : « صنّف الرضي كتاباً في معاني القرآن الكريم يتعذر وجود مثله ، دلّ على توسعه في علم النحو واللغة »(١٣) .

أما مسائل البلاغة فقليلة فيه وكأن الرضي اجتنبها فيه ليجعلها وكده في الكتابين الاولين ، المجازات القرآنية والمجازات النبوية ، وللكتاب قيمة تأريخية بما جمع واستقصى من أقوال العلماء وآرائهم الى ذلك العصر في المسائل التي تعرّض لها .

هذه الكتب المذكورة هي أدلة نقلية ومعالم شاخصة في محجة الشريف الرضي البلاغية ، علاوة على ما خلفه من أدب رفيع أخذ فيه بأسباب البلاغة ، كيف لا يكون بليغاً وهو ممن جروا في العربية على

عرق أصيل ، ونزعوا الى صميم الأدب العربي بأعراق وأعراق ؟ وحسبه أن يكون من سلالة رسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ مدينة العلم[١٤] وأفصح العرب[١٥] • كيف لا يكون بلاغياً وهو يقف أمام مصدر البلاغة العربية الاول ، وهو كلام الله ـ تعالى ـ المعجز للبشر يفسره وينبه على بلاغته وبيانه ؟ إذ لا بد لمن يفعل ذلك أن يكون ذا باع طويل في البلاغة والفصاحة ، أوتي من سحر البيان وأفانين القول ما يمكّنه من النهوض بهذه الغاية الشريفة ، وأخال ذلك دليلا عقلياً على اثبات بلاغة الرضي •ولكن ألى اية غاية اتجه الرضي ببلاغته ؟ الغاية الدينية التي اجتذبت رجال الاعجاز والمفسرين ؟ أم الغاية الأدبية التي استأثرت بالنقاد والشعراء ؟ أم الغاية التعليمية التي وجّهت الكتّاب والأدباء الى تعليم الناشئة والمتأدبين أصول الكتابة البليغة[١٦] ؟

أرى ان الرضي قصد الهدف الديني أولاً واتخذ البلاغة وسيلة لخدمة القرآن الكريم وذلك في تعيين

مجازاته وشرح تلك المجازات، وكذلك نبه على مجازات الحديث الشريف وشرحها ، وجمع مختارات من كلام الامام علي ، ومراده في ذلك القيمة الدينية ثم الفنية ، وكأنه اتبع قول عمرو بن عبيد (ت ١٤٤هـ) : «البلاغة ما بلغ بك الجنة وعدل بك عن النار ... » وقوله : « انك إذا أوتيت تقرير حجة الله في عقول المكلفين وتخفيف المؤونة على المستمعين ، وتزيين تلك المعاني في قلوب المريدين بالالفاظ المستحسنة في الآذان ، المقبولة عند الأذهان رغبة في سرعة استجابتهم ونفي الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة كنت قد أوتيت فصل الخطاب ، واستحققت على الله جزيل الثواب »(١٧) .

وكأنه استجاب لنداء أبي هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) : « ان أحق العلوم بالتعلم وأولاها بالتحفظ ــ بعد المعرفة بالله جلّ ثناؤه ــ علم البلاغة ومعرفة الفصاحة الذي به يعرف اعجاز كتاب الله تعالى ... وقد علمنا ان الانسان إذا أغفل علم البلاغة

وأخلّ بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه باعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف وبراعة التركيب، وما شحنه به من الايجاز البديع والاختصار اللطيف، وضمّنه من الحلاوة، وجلّله من رونق الطلاوة مع سهولة كلمه وجزالتها، وعذوبتها وسلاستها، الى غير ذلك من محاسنه التي عجز الخلق عنها، وتحيّرت عقولهم فيها »(١٨).

وربما أراد الرضي أن يقتفي أثر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) وابن قتيبة (٢٧٦ هـ) في إثبات ظاهرة المجاز لمن أنكرها في القرآن الكريم كالظاهرية وغيرهم ممن يأخذون المعنى من ظاهر التعبير ولا تأوّل فيه. وكان ذلك مثار جدل حينذاك ترتب عليه تصديق أو انكار لاعجاز القرآن، وطعن ببلاغته. قال ابن قتيبة: « وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون ولغوا فيه وهجروا واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله بأفهام كليلة فحرفوا الكلام عن مواضعه ثم قضوا عليه بالتناقض والاستحالة في اللحن وفساد

النظم والاختلاف ... وأما الطاعنون على القرآن بالمجاز فانهم زعموا انه كذب لأن الجدار لا يريد[١٩]، والقرية لا تسأل[٢٠]، وهذا من أشنع جهالاتهم، ولو كان المجاز كذباً كان أكثر كلامنا فاسداً، لأننا نقول: نبت البقل، وطالت الشجرة »[٢١].

وقد ألحق البعض الفساد والتخليط في معاني القرآن بسبب جهلهم بأساليب المجاز، قال ابن قتيبة أيضاً: « وإنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، وللعرب المجازات في الكلام، ومعناها طرق القول، ففيها الاستعارة والتمثيل والقلب والتقديم والتأخير والحذف والتكرار والاخفاء والاظهار والتعريض والافصاح والكناية والايضاح ومخاطبة الواحد مخاطبة الجمع، والجمع خطاب الواحد والواحد والجمع خطاب الاثنين، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم وبلفظ العموم لمعنى الخصوص مع أشياء كثيرة، وبكل هذه المذاهب نزل القرآن[٢٢].

نجد من خلال ما ذكر ان المجاز لدى ابن قتيبة واسع النطاق يشمل موضوعات كثيرة في البلاغة وبها جاء القرآن ، ومن يجهلها يجهل معاني القرآن ، ويمتد جهله الى شؤون حياته وحياة غيره فَيَهْلكْ ويُهْلِكْ . قال الجاحظ : « من يجهل المجازات يجهل تأويل الكتاب والسنة والشاهد والمثل ، فاذا نظر في الكلام أو في ضروب من العلم وليس هو من أهل هذا الشأن هَلَكَ وأَهْلَكَ »(٢٣) .

كل هذا دفع الرضي الى تتبع مجازات القرآن والحديث ، وإماطة اللثام عن حقيقتها ليزيل الشبهات الناجمة عن سوء فهمها . وأياً كانت دوافع الدرس البلاغي فان الرضي امتلك ناصيته بآلة البيان التي مكّنته منها مواهبه الاصيلة وثقافته الواسعة فتقدم بخطى ثابتة ورؤية سديدة نحو الآثار البليغة يسبر غورها ويستشف أسرار جمالها ، ثم يعرضها بصور ملونة بألوان أسلوبه الرائق المخالف لأساليب من أخذ عنهم ، فهو كما وصفه الدكتور البيومي — « كالنحلة

تمتص الرحيق المختلف لتقدمه عسلا صافياً ينسب اليها دون الرجوع الى مواد تكوينه وعناصر ايجاده »[٢٤].

وهو إن اتكأ على تراث السابقين من أرباب البيان ورجال الاعجاز ، فلأن مصدري دراسته القرآن والحديث ، وهذان لا يسمحان بالحرية المطلقة في التحليل وإبداء الرأي والاستقلال به ، ولكنه مع ذلك أتى بالجديد الشيّق في شرح مجازات القرآن والحديث ، وثبّت ما رآه واقتنع به من آراء الدارسين بثقة عالية .

أسـلوبه ومذهبه البلاغي :

من الملاحظ ان الرضي لم يقلد أحداً في أسلوبه ، حتى في شعره الذي نظمه في صباه ، ولم يخضع لقيود أصحاب الصنعة البديعية ، وهذا دليل على صحة طبعه وأصالة موهبته في الأدب .

وقد تميز أسلوبه بالجمع بين قوة الأعـراب الذين خالطهم في رحلاته الى الحج ، وليونة أهل الحضر الذين أقام بينهم . أتى بالعبارات الفصاح تمازجهـا سـهولة وعذوبة تنسجم مع كل الأذواق الى حدّ يحسّ القارىء ـ وهو يقرأ له ـ بنَفَس حديث وكأنه يقرأ لأديـب من العصر الحديث . وصفة التجدد والحياة في النتاج الأدبي نادرة لا تتأتى إلاّ للافذاذ ، ولا غرو في ذلك فالرضي شاعر دقيق الاحساس ، يجوس بألفاظه العذبة حنـايا النفس البشرية ويوحـي اليها بشتى الصـور والأحاسيس ، والانسـان هو الانسان في كل زمـان

ومكان يأنس بما يثير مشاعره ، وما كان يثيرها أمس يثيرها اليوم .

وهذا الأسلوب هو الذي وجّه بلاغة الرضي نحو المذهب الأدبي ، وهو مذهب الجاحظ وابن المعتز وأبي هلال العسكري وابن الأثير وغيرهم ، وهؤلاء انطلقوا في رحاب الأدب ، وبعدوا عن التعريف الجامع المانع ، وعن الحصر والتقسيم والتبويب ، وجانبوا التعقيد والمصطلح العلمي ، وخالفوا أسلوب المنظّرين والمتأثرين بالفلسفة والمنطق اليونانيين ، ومالوا الى التطبيق والاكثار من الشواهد ، وبهذا تتضح دراساتهم ، وتصفو مشاربها لمن يقبل على دراستها وكشف أسرارها ، ويعمل الرضي ذوقه الواعي في تصيد مواقع الجمال الفني ، ويعرب عن انطباعه في المسائل التي يتعرض لها بعد اثارتها بالآراء والشواهد التي يراها لازمة لاجلاء ملامحها وتقريبها الى الافهام. واعتاد الرضي ألاّ يكاثر بالاسماء ولا يغالب بالأقوال وإنما يكتفي بالعرض والتعقيب قائلا : «قال بعضهم ..»

ثم يعلق على هذا القول ، وربما كان ذلك بسبب اتجاهه الأدبي الذي ينأى به عن منازلة الاقران ، أو بسبب ميله الى الايجاز ، ولا سيما في مسائل القرآن والحديث التي لا تحتمل الاطناب في التحليل والمناقشة ، وقد صرّح بتفضيل هذا الاسلوب في مقدمة كتابه (المجازات النبوية) .

ولم يفته فيما تناوله من مجازات القرآن والحديث حسن التأتي ، إذ يبتدىء بعرض الآية أو الحديث المشتملين على المجاز ، وينظر في لغة وفصاحة مفرداتهما ، ويخلص بعد ذلك الى تركيبهما وصورتهما المجازية ، فيبيّن ما أُريد بتلك الصورة ، ثم يذكر أثرها وقيمتها في معاني الكلام مستعيناً بشاهد من شعر الجاهليين والاسلاميين وبآراء للمفسّرين والمحدّثين والبلاغيين وأهل اللغة ، ثم يجتهد في بيان المراد وتثبيت الرأي ، ويبدو الرضي في كل ذلك عالماً يكتب بقلم أديب شاعر ، واني أعرض هنا لأمثلة من دراساته البلاغية يتضح فيها أسلوبه ومنهجه الأدبي في معالجة الحقيقة

والمجاز ، فقال في قوله سبحانه (جاءتهم رسلهم بالبينات فردّوا أيديهم في أفواههم)[٢٥] : « وهذه استعارة ، على وجه واحد من وجوه التأويلات التي حملت عليها هذه الآية ، وذلك أن يكون المعنى ماذهب اليه بعضهم من ان الأيدي ههنا عبارة عن حجج الرسل ـ عليهم السلام ـ والبينات التي جاءوا بها قومهم ـ وأكدوا بها شرعهم ، لأن بذلك يتم لهم السلطان عليهم والتدبير لهم ، وقد سمّوا السلطان يداً في كثير من المواضع فقالوا : ما لفلان على فلان يد أي سلطان . ويقولون : قد زالت يد فلان الأمير ، إذا عزل عن ولايته ، بمعنى ، زال سلطانه عن رعيته ، ويقولون : أخذت هذا الأمر باليد ، أي بالسلطان . فالحجج التي جاء بها الأنبياء أممهم قد تسمى أيدياً على ما ذكرناه ، فلما وصف الكفار على هذا التأويل بأنهم ردوا أيدي الأنبياء ـ عليهم السلام ـ في أفواههم ، كان المراد بذلك ردّ حججهم من حيث جاءت ، وطريق مجيئها أفواههم ، فكأنهم ردّوا عليهم

أقوالهم وكذبوا دعواهم • وفي هذا التأويل بعد وتعسف ، إلاّ اننا ذكرناه لحاجتنا اليه ، لما ذهبنا مذهب من حمل قوله سبحانه : (فردّوا أيديهم في أفواههم) على الاستعارة لا على الحقيقة • فاذا حملت الآية على حقيقة الأيدي التي هي الجوارح كان المراد بها مختلفاً فيه •

فمن العلماء من قال : المراد بذلك انهم كما يعضّون أناملهم تغيظاً على الرسل – عليهم السلام – كما يفعل المغيظ المحنق والواجم المفكر • وقال بعضهم: المراد بذلك ان المشركين اومأوا الى أفواه الأنبياء بالتسكيت لهم والقطع لكلامهم • وقال بعضهم: بل المراد بذلك ضرب من الهزء يفعله المجّان والسفهاء إذا أرادوا الاستهزاء ببعض الناس وقصدوا الوضع منه والازراء عليه ، فيجعلون أصابعهم في أفواههم ، ويتبعون هذا الفعل بأصوات تشبهه وتجانسه يستدلّ بها على قصد السخف ، وتعمد الفحش • وهذا عندي

بعيد من السداد ، وغيره من الأقوال أولى منه بالاعتماد • وقد يجوز أيضاً أن يكون المراد بذلك ان الكفار كانوا إذا بدأ عليهم الرسل بالكلام سدّوا بأيديهم أسماعهم دفعة ، وأفواههم دفعة ، إظهاراً منهم لقلة الرغبة في سماع كلامهم ، وجواب مقالهم ، ليدلوهم ـ بهذا الفعل ـ على أنهم لا يصغون لهم الى مقال ، ولا يجيبونهم عن سؤال ، إذ قد أبهموا طريقي السماع والجواب وهما الآذان والأفواه ، وشاهد ذلك قوله ـ سبحانه ـ حاكياً عن نوح ـ عليه السلام ـ يعني قومه : (واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصرّوا واستكبروا استكبارا)(٢٦) فيكون معنى ردّ أيديهم في أفواههم على القول الذي قلنا أن يمسكوا أفواههم بأكفهم ، كما يفعل المظهر الامتناع من الكلام • ويكون إنما ذكر ـ تعالى ـ ردّ الأيدي ههنا ـ وهو يفيد فعل الشيء ثانياً بعد أن فعل أولاً ـ لأنهم كانوا يكثرون هذا الفعل عند كلام الرسل ـ عليهم السلام ـ

فوصفوا في هذه الآية بما قد سبق لهم مثلـه وألـف منهم فعله ، فحسن ذكر الأيدي بالرد على الوجه الذي أومأنا اليه ، وأيضاً فقد يقول القائل لغيره : أردد اليك يدك . بمعنى اقبضها وكفها . لا يريد غير ذلك »[٢٧].

ألا ترى الى شرح الرضي لمجاز الآية المذكـورة كيف جاء باسلوب أدبي رائق ، يبعـد عن مصطلحات العلماء ومداخلاتهم ، وانه يكتفـي بايراد الآراء دون التصريح بأسماء أصحابها ليردّ عليها بغيـة التوصل الى رأي يصح وينفع في باب الاستعارة الـواردة في الآية الكريمة .

وفي تعيين المجاز وشرحه في الآية الكريمة : (ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجـة واحـدة فقال أكفلنيها وعزّني في الخطاب)[٢٨] ، قال الشريف الرضي : « وهذا الكلام داخل في حيّز الاستعارة ، لأن النعاج ههنا كناية عـن النساء ، وقد جـاءت في أشعارهم الكناية عن المرأة بالشاة ، وعلى ذلك قـول الأعشـى :

فرميت غفلة عينه عن شاته   فأصبت حبّة قلبها وطحالها

أي : عن امرأته ، وقال عنترة :

يا شاة ما قنصٍ لمن حلّت له

حرمت عليّ وليتها لم تحرم

وربما سمّوا الظبية نعجة ، والظبية شبيهة بالمرأة ، فتكون اللفظة مستعارة على هذا التركيب • وإنما شبّهت النساء بالنعاج لأن النعاج يرتبطن للاحتلاب والاستنتاج والنساء يصطفين للاستمتاع والاستيلاد »[٢٩] •

عيّن الرضي فيما ذكر الكناية ، وبيّن الغرض من استعمالها ذاكراً شواهد عليها من شعر الجاهليين ، ليزيد في توضيحها ، بالاضافة الى السهولة التي إتسم بها أسلوبه •

وقال الرضي في شرح مجاز الحديث الشريف « الآن حمي الوطيس » : قوله ـ عليه الصلاة

والسلام ـ يعني حمس الحرب وعظم الخطب مجاز ، لأن الوطيس في كلامهم حفيرة تحتفر فيوقد فيها النار للاشتواء ، وتجمع على وطس ، فان احتفرت للاحتياز ، فهي ارة وتجمع على ارين ، ولا وطيس هناك على الحقيقة ، وإنما المراد ما ذكرناه من حرّ القراع وشدة المصاع ، والتفاف الأبطال واختلاط الرجال ، ومن هناك قالت العرب : أوقدت نار الحرب بين آل فلان وآل فلان ، وقال الله ـ سبحانه ـ مخرجاً للكلام على مطارح لسانهم ومعارف أوضاعهم : (كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله)(٣٠) .

وتشبيه الحرب بالنار يكون من وجهين:(أحدهما) لحرّ مواقع السيوف ، وكرب ملابس الدروع ،وحمي المعترك لشدة العراك وكثرة الحركات .(والوجه الآخر) أن يكون إنما شبهت بالنار لأنها تأكل رجالها ، وتفني أبطالها كما تأكل النار شُعَلها وتحرق حطبها(٣١) .

وفي قوله تعالى : (وإنْ خفتم ألاّ تقسطوا في

اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع)[٣٢] • أورد الرضي فصلاً في (إعراب مثنى وأخواته ومعناها) أجتزىء منه ما يأتي :

« فأما الاستدلال بهذه الآية على جواز نكاح التسع ، فهو مذهب لبعض علماء أهل البيت عليهم السلام »[٣٣] ، إلاّ انه يضعف في نفسي من وجوه :

أحدها ، أن مثنى وما بعده لا يصلح في عرف أهل اللغة إلاّ لاثنين اثنين أو اثنتين اثنتين على التفريق لا على الجمع والضم ، فاذا ثبت ذلك كان تقدير الكلام: (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى) وانكحوا ثلاث في غير الحال الاولى ، وانكحوا رباع في غير الحالين • ومنها ان كلامه تعالى أفصح الكلام وأشده انخراطاً في سلوك الفصاحة وابعاداً في مرامي البلاغة، وليس من البلاغة أن يقول القائل ـ إذا أردنا ان يعلمنا انه أعطى زيداً تسعة دراهم ـ : أعطيت زيداً درهمين وثلاثة وأربعة ، فيفرق العدد في مثل هذه الحال ، لأن

قوله : أعطيته تسعة دراهم ، أخص وأقصر ، وهو بمذاهب البلغاء أشبه وأليق ، وليس موضع هذا القول من مواضع الاسهاب والاطناب فيكون بسط الكلام فيه أبلغ وإطالته أشفع وأنفع ، كما يقول في قوله تعالى في السورة التي يذكر فيها الحج : (من كان يظنّ أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ)(٣٤) . والضمير في قوله تعالى : (ان لن ينصره الله) للنبي (ص) ، ومعنى ذلك على عامة قول المفسرين : ان من ظن من المشركين ان الله خاذل نبيّه ومذلّ دينه فليقتل نفسه بحسرة ذلك ، فلن يتحقق ظنه أبداً ، وقوله تعالى : (فليمدد بسبب الى السماء) السبب ههنا الحبل ، والسماء ههنا سقف البيت الذي يحله ، فكأنه تعالى قال : فليربط حبلاً بسقف بيته وليختنق به الى أن ينقطع الحبل من فرط تراجعه فيه وجذبه إياه فلينظر هل يذهب ما يفعله بنفسه من ذلك ما غاظه من قوة أمر الرسول ، ووري

زناده ، وارتفاع عماده . ألا ترى الى هذا الاسهاب في هذا المكان ، كيف وقع موقعه ، وأصاب غرضه ، وقد كان تعالى قادراً على أن يقول : من كان يظن أن لن ينصر الله رسوله فليخنق نفسه غيظاً ، ولكن لما كان في بسط هذا الكلام ، والاتساع في مذاهبه من زيادة الغمة على المراد به وفرط الغيظ للمقصود بأسماعه ، حسن البسط والتوسع فيه ، ألا ترى الى مقدار الفرق بين قول القائل لضد ينازعه ، وعدو يقارعه ان كنت مغيظاً من نعمة الله عليّ وحسن بلائه عندي فاقتل نفسك ، وبين قوله له : فاجزر أناملك ، وافقأ عينك، واجدع أنفك ، واذبح نفسك أو يزيد في ذلك تفحيش صفة الذبح عليه بقوله : فخذ مدية حادة فقطّع بها أوداجك ، واجزر حلقومك ، واسل دماءك ، وبين الموضعين فرق واضح وتمييز ظاهر ، فافهم ذلك فانه من أسرار القرآن الخفية ، وبدائعه العجيبة التي تزداد على النزح جماماً(٣٥) وعلى القدح اضطراماً...»(٣٦).

ألا ترى الى الشريف الرضي ، كيف عالج معنى الآية الكريمة معالجة تعتمد مسائل اللغة وقضايا البلاغة ، وسخّر جوانب معرفته الأخرى في الوصول الى رأي يستصوبه في معنى (مثنى وثلاث ورباع) ؟ ويفاد من كلامه أنّ من أسرار بلاغة القرآن الكريم مطابقة كلامه لمقتضى حال المخاطبين ، فالحال التي يحسن معها الاطناب يطنب فيها ، والحال التي يحسن منها الايجاز يوجز فيها ، واختلاف الأساليب يعود الى اختلاف المعاني ، والرضي يبسط ذلك بأسلوب مطبوع ، وإن كنا نجد آثاراً للسجع والموازنة فذلك مما استدعاه المعنى ، وجاء باقتصاد وقدر معلوم ، لكنه لم يتكلف الصنعة البديعية ولم يتكلف الإغراب والتجريد واستعمال المصطلحات اللغوية وأساليب الفلاسفة والمناطقة ، لذلك جاء كلامه فصيحاً سهلاً عذباً لا يكون وقعه في الأسماع قبل وقعه في القلوب . وهو حقاً عالم ، كتب في التفسير والبلاغة واللغة ، لكنه كتب بقلم أديب شاعر .

دراسات الشريف الرضي وتطبيقاته البلاغية :

علم البيان :

البيان لغة : الوضوح والكشف والظهور[٣٧] . وهو في اصطلاح المتقدمين من البلاغيين لا يبعد كثيراً عن هذا المدلول ، كما نجد عند الجاحظ[٣٨] لكنه يجعله خاصاً بالكلام ومعناه ، ويذكر له آلات ومستلزمات ، ويتحقق عنده بدلالات، ويعدّه الرماني (ت٣٨٦هـ) نوعاً من البلاغة[٣٩] . وقد عني بالبيان علوم البلاغة جميعاً ،لأنها تتضافر على توضيح المعنى وتقريبه الى الافهام ، وهذا رأس البلاغيين عبدالقاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) ينوه بأصالة البيان وقيمته ويجسّد دوره في اظهار المعاني فيقول : « انك لا ترى علماً هو أرسخ أصلا وأبسق فرعاً وأحلى جنى وأعذب ورداً وأكرم نتاجاً وأنور سراجاً من علم البيان الذي

لولاه لم تر لساناً يحوك الوشي ويصوغ الحلي ، ويلفظ الدرّ ، وينفث السحر ، ويريك بدائع من الزهر ، ويجنيك الحلو اليانع من الثمر ، والذي لولا تحفيه بالعلوم وعنايته بها ، وتصويره إياها لبقيت كامنة مستورة ، ولما استبنت لها يد الدهر صورة ، ولاستمر السّرار بأهلّتها ، واستولى الخفاء على جملتها ، الى فوائد لا يدركها الاحصاء ، ومحاسن لا يحصرها الاستقصاء »[٤٠] .

والبيان في اصطلاح المتأخرين من علماء البلاغة : « معرفة ايراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه ، وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه »[٤١] .

وموضوعات علم البيان هي : التشبيه ، والاستعارة ، والمجاز المرسل والعقلي والكناية .

أما دور الشريف الرضي في حركة تطور علم

البيان فقد كان مميزاً ، وذلك لأنه أول من خطا نحو التأليف البياني المستقل في كتابيه : تلخيص البيان في مجازات القرآن ، والمجازات النبوية ، ففصل بذلك علم البيان عن علمي البلاغة الآخرين ،المعاني والبديع، وفصله عن علوم العربية وأنواع الأدب . واليه يعود الفضل في حصر موضوعات البيان وتحديد مفهومها. وبهذا جعل له مدلولا خاصاً بعد أن كان من قبل عاماً، يعني عند الجاحظ ومن تبعه الفصاحة والبلاغة جميعاً(٤٢) ، وعند الرّماني جزءاً من أجزاء البلاغة العشرة ، وهي : الايجاز ، والتشبيه ، والاستعارة ، والتلاؤم ، والفواصل ، والتجانس والتصريف ، والتضمين ، والمبالغة ، وحسن البيان(٤٣) .

ويقول الرماني : « وحسن البيان في الكلام على مراتب : فأعلاها مرتبة ما جمع أسباب الحسن في العبارة من تعديل النظم حتى يحسن في السمع ، ويسهل على اللسان ، وتتقبله النفس تقبل البرد، وحتى يأتي على مقدار الحاجة فيما هو حقه من المرتبة »(٤٤).

يبدو من الكلام المذكور ان الرماني أراد بالبيان معناه العام وهو تعديل النظـم وهذا ما يتعلق بعلـم المعاني ، وأراد الفصاحة ، ثم مطابقة الكـلام لمقتضى الحال ، وهذه هي البلاغة بعينها .

لـذا نستطيع القول بأن الرضـي في دراسـته التطبيقية لبيان القرآن والحديث كان رائداً هيأ لتأصيل المصطلح البياني عندما ذكر اسمه وعيّن مدلوله وأورد شواهده ، فلما جاء عبدالقاهر الجرجـاني من بعده ، وجد رؤية سليمة وعملاً منظماً في البيان العـربي ، فاعتمدهما في بناء نظريته البيانيـة في كتابه (أسرار البلاغة) . وعلم البيان يبحث في أسلوبي الكـلام ، الحقيقة والمجاز ، وما ينضوي تحتهما من موضوعـات وهي : التشبيه ، والاستعارة ، والمجاز المرسل، والمجاز العقلي ، والكناية . والشريف الرضي أدرك وظيفـة هذا العلم ، وتناول موضوعاته بالشرح والتحليل، كما سنرى في كل موضوع نتكلـم عليه ، لنبيّن مـدى اسهامه في اغناء البلاغة العربية .

الحقيقة والمجاز :

الحقيقة في اللغة : من حقّقت الشيء أحقه إذا أثبته . وفي ضوء هذا المعنى عرّفها ابن فارس (ت٣٩٥هـ) بقوله : « الكلام الموضوع موضعه الذي ليس باستعارة ولا تمثيل ، ولا تقديم فيه ولا تأخير »(٤٥) .

وحدّها ابن جني (ت٣٩٣هـ) بقوله : « الحقيقة ما أقرّ في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة»(٤٦) .

ويعرّف إمام البلاغيين عبدالقاهر الجرجاني الحقيقة في اللفظة المفردة فيقول : « كل كلمة أريد بها ما وقعت له في وضع واضع وقوعاً لا يستند فيه الى غيره »(٤٧) .

أما المجاز فهو اسم للمكان الذي يجاز فيه ، ومصدر ميمي لفعله . قال عبدالقادر الجرجاني: «المجاز مفعل من جاز الشيء يجوزه إذا تعدّاه ، وإذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وصف بأنه مجاز على

معنى انهم جازوا به موضعه الأصلي ، أو جاز هو مكانه ، الذي وضع فيه أولا »[٤٨] .

ويعرّف عبدالقاهر المجاز ملاحظاً العلاقة بينه وبين الحقيقة فيقول : « وأما المجاز فكل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول »[٤٩] .

وأدار البلاغيون هذا المعنى في تعريفاتهم وتصانيفهم . وأقدم من درس المجاز وصنف فيه هو أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت٢٠٩هـ) ، في كتابه (مجاز القرآن) ، ولكنه قصد بالمجاز طريق الجواز الى فهم اللفظة القرآنية ، والتركيب القرآني ، لذا فان الكتاب استهدف تفسير غريب القرآن ، وبذلك أصبح كتاب لغة ، فلا نعده ضمن كتب المجاز بمعناه الاصطلاحي لدى أهل البلاغة .

ونستطيع القول بأن الجاحظ هو أول من استعمل المجاز بمعناه الاصطلاحي المقابل للحقيقة في

كتابيه (البيان والتبيين) و (الحيوان) . وأفرد لشواهده باباً[٥٠] ، توصل من خلاله الى ان المجاز هو استعمال اللفظ في غير ما وضع له على سبيل التوسّع في اللغة ، ان ما ذهب اليه الجاحظ يحلّ مشكلة انكار المجاز في القرآن الكريم ، وزاد الجاحظ على ذلك بأن ذكر نظائر لمجازات القرآن في كلام العرب تشكل سنداً من القياس السماعي الصحيح ، يضاف الى ذلك انه أول من استعمل لفظ الاستعارة بمعنى تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه ، وبذلك كان الجاحظ رائداً للبيانيين ، وكانت إشاراته لمعاً اهتدى بها بناة صرح البلاغة العربية منهم ابن قتيبة الذي تأثر باستاذه الجاحظ في هذا المضمار ، وظهر هذا الأثر في كتابه (تأويل مشكل القرآن) بشكل أوسع مما كان عليه ، مثل ذلك ان الجاحظ رأى المجاز مذهباً للقول ، حيث قال في التعليق على تعبير ما : ولهذا الكلام مجاز ومذهب ، وقال : وهذا كلام مجازه قائم ، وهذا الكلام مجازه عند الناس سهل[٥١] . بينما

نجد ابن قتيبة يوسّع دلالات كثير من الاصطلاحات التي ظهرت فيما بعد ، ويجعل المجازات طرق القول ، وتضم موضوعات بيانية وأساليب تدخل في علم المعاني وأنواعاً من البديع ، ثم نراه يعقد ما بين أولهما في (المجاز) وثانيهما في (الاستعارة)[٥٢] ويتكلم من خلالهما على مجاز القرآن الكريم ، ويدافع عن وجوده بحماسة شديدة ، وفي الباب الذي عقده للاستعارة يقول : « فالعرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة إذا كان المسمى بها بسبب من الأخرى أو مجاوراً لها أو مشاكلا ، فيقولون للمطر سماء لأنه من السماء ينزل »[٥٣] . ثم يمضي ابن قتيبة في الكشف عن استعارات القرآن ، على نحو موسّع قياساً بالجاحظ .

وجاء الرّماني وعقد باباً للاستعارة وآخر للتشبيه في رسالته عن إعجاز القرآن الكريم[٥٤] ، ولعل ما أورده فيهما من تحليلات وملاحظات كان علامة مميزة في طريق ذوي البيان .

ولابن جنّي نظر في المجاز والدوافع اليه ، حيث قال : « لا يعدل عن الحقيقة الى المجاز إلاّ لمعان ثلاثة هي : الاتّساع ، والتوكيد ، والتشبيه ، فان عدمت هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة »(٥٥) .

هذا ما كان من أمر المجاز قبل الشريف الرضي ، ألمعت اليه في عجالة تمهيداً للكلام على جهود الرضي في دراسة المجاز ومدى اسهامه في اغناء البيان العربي .

استهدى الرضي بلمع من سبقه في دراسة المجاز ، فاستعمله بمعناه الاصطلاحي ، وجعله مذهباً للقول وفنّاً للتعبير ، يعدل عن الحقيقة اليه لأسباب تقتضيها معاني الكلام وأحوال المخاطبين ، كالتوكيد ، والمبالغة ، وزيادة المعنى والاتساع في اللغة(٥٦) . ونجد الرضي يرسخ هذه المعاني في كتبه ودراساته ، فيقول في التعليق على الآية الكريمة « ثم استوى الى السماء فسوّاهن سبع سموات »(٥٧) : أي قصد الى خلقها كذلك ، لأن الحقيقة في اسم الاستواء الذي هو تمام

بعد نقصان واستقامة بعد اعوجاج من صفات الاجسام وعلامات المحدثات[٥٨] .

عيّن الرضي لفظ المجاز في الآية وهو (استوى) وذكر حقيقته ، ليوضح معنى الآية الكريمة . وشرح الاستعارة في قوله تعالى : « ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون »[٥٩] فقال : « وهذه استعارة لأن بيع نفوسهم على الحقيقة لا يتأتى لهم ، والمراد به ـ والله أعلم ـ انهم لما أوبقوا أنفسهم بتعلم السحر ، واستحقوا العقاب على ما في ذلك من عظيم الوزر ، كانوا كأنهم قد رضوا بالسحر ثمناً لنفوسهم »[٦٠] .

نجد فيما ذكر ان الرضي لم يكتف بتعيين المجاز وذكر حقيقته ، وإنما يعمد الى شرح صورته وبيان نوعه ، كما فعل آنفاً ، حيث عيّن اللفظ الذي وقع فيه المجاز ، وهو (شروا) بمعنى باعوا وذكر نوعه ، وهو استعارة وبيّن مفهوم الاستعارة وهو نقل اللفظ

من أصل وضعه للماديات التي تباع وتشترى الى النفس التي لا تباع ولا تشترى لعلاقة المشابهة بين الحالين في الحصول على الثمن ، ويشير الرضي الى المشابهة بقوله : (كأنهم) .

وفي تفسير مجاز الآية : (وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورا)[٦١] ، قال الرضي : « فجعلناه هباءً منثوراً ، مجاز ، وذلك انه لم يجعل عملهم على الحقيقة هباءً منثوراً ، وهو الغبار الدقيق ههنا ، ومنه الهابي ، وإنما أراد سبحانه انه ابطل ذلك العمل ، فعفا رسمه وسقط حكمه ، وبطل بطلان الغبار الممحق والغثاء المتفرق »[٦٢] .

يميز الرضي في تعليقه ، بين مصطلحي الحقيقة والمجاز شرحاً ، وبيّن سبب الاتيان بالمجاز ، وهو التشابه[*] . وقد يحقق المجاز زيادة معنى ، وهذا ما أشار اليه الرضي في تعليقه على الآية : (ولو نشأ لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنّى

يبصرون)[٦٣] . فقال : « وهذه استعارة ، والمراد بالطمس ههنا اذهاب نور الأبصار حتى يبطل إدراكها تشبيهاً بطمس حروف الكتاب حتى تشكل قراءتها، وفيه أيضاً زيادة معنى لأنه يدل على محو آثار عيونهم مع اذهاب أبصارها ...»[٦٤] .

وقد يأتي المجاز بسبب الاتساع ، كما قال الرضي في شرح الحديث : « المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ، ويردّ عليهم أقصاهم وهم يد على من سواهم » . قال : « وهم يد على من سواهم استعارة ومجاز ... وقد يسمى أنصار الرجل وأعوانه يداً على طريق الاتساع ، تشبيهاً لهم باليد التي ينتصر بها ويدافع بقوتها »[٦٥] .

وينبّه الرضي على ان المجاز قد يحقق مبالغة لا تتحقق مع التعبير الحقيقي ، كما نرى في تعليقه على الآية الكريمة (استفرغ لكم أيها الثقلان)[٦٦] إذ يقول : « وهذه استعارة ، وهو أن يكون المراد

بذلك سنعمد لعقابكم .. وقال بعضهم : ولم يقل سنعمد لأنه أراد أي سنفعل فعل من يتفرغ للعمل من غير تمجيع[٦٧] فيه . ولأنه لما كان الذي يعمد الى الشيء ربما قصّر فيه لشغله معه بغيره ، وكان الفارغ له - في الغالب - هو المتوفر عليه دون غيره ، دللنا بذلك على المبالغة في الوعيد من الجهة التي هي أعرف عندنا ، ليقع الزجر بأبلغ الألفاظ وأدلّ الكلام على معنى الايعاد . ثم قال بعضهم : ثم جاء القرآن على مطرح كلام العرب لأن معناه أسبق الى النفس وأظهر للعقل ، والمراد به تغليظ الوعيد والمبالغة في التحذير .. »[٦٨] .

وظل الرضي يؤكد - وهو في صدد بيان مجازات القرآن والحديث - ان المجاز يفضل الحقيقة في مواضع كثيرة ، وأنه أبعد في البلاغة مترعاً وأبهر في التعبير مطلعاً ، من ذلك ، قوله في التعليق على الآية : (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجّرنا

الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر)[٦٩] : « وهذا من أفصح الكلام وأوقع العبارات عن هذه الحال »[٧٠] يريد بقوله هذا مجاز الآية .

وقال في قوله تعالى (هو الاول والآخر والظاهر والباطن .. »[٧١] : « سبحانه لا يأتي بالكلام المستعار عليه ، ولكن لأن ذلك اللفظ أبعد في البلاغة منزعاً وأبهر في الفصاحة مطلعاً »[٧٢] .

والمجاز تفوق على الحقيقة وحاز على الفضل ، وصار عند الرضي أبلغ وأبهر بسبب ما يضيفه من معان خاصة الى النص ، كالوضوح ، والتوكيد ، والمبالغة ، والاتساع والتشبيه وما الى ذلك . وقد أوردت أمثلة ذلك فيما أوردت وأضيف اليها هنا تعليق الرضي على مجاز الآية الكريمة : (كتب الله لأغلبَنّ أنا ورسلي ان الله قويّ عزيز)[٧٣] . قال الرضي معيّناً المجاز ونوعه ، وسبب الاتيان به في هذا الموضع ، وما أفاد من معنى اضافي الى النص :« وهذه

استعارة ، والمراد بالكتابة ههنا الحكم والقضاء ، وإنما كنّى - تعالى - عن ذلك بالكتابة مبالغة في وصف ذلك الحكم بالثبات ، وانّ بقاءه كبقاء المكتوبات »[٧٤] وهكذا يبيّن الرضي لنا سبب العدول عن الحقيقة الى المجاز . ولكن العدول الى المجاز كثيراً ما يكون بسبب آخر غير البلاغة ويذكره الرضي فيقول : « والواحد منّا - في الاكثر - إنما يستعير اغلاق الكلام ، ويعدل عن الحقائق الى المجازات لأن طرق القول ربما ضاق بعضها عليه ، وربما استعصى بعضها على فكره فعدل الى المطاوعة »[٧٥] .

والمجاز عند الرضي مصطلح كبير ينضوي تحت لوائه موضوعات علم البيان جميعاً ويتسع أحياناً لاشارات وملاحظات تتعلق بعلم البديع وعلم المعاني من البلاغة . لكنه لم يكن بسعة مجاز ابن قتيبة ، اقترب بحدوده . وموضوعاته التي ذكرها الرضي من مجاز عبدالقاهر الجرجاني والمنظّرين من ذوي

البيان . والرضي في دراسته للمجاز لم يكن يعنيه تعريف موضوعاته وذكر أقسامها ، بقدر ما يعنيه أمر تحليلها ، وبيان أثرها في كلام الله ورسوله ، لـذا نجده يحيط بمجازات القرآن والحديث ، ويفيض في الشرح والتفسير والاستشهاد ، حتى يكشف معناها بموجب مذهب بياني تطبيقي متكامل(٧٦) .

وسأعرض لموضوعات المجاز وتطبيقات الرضي فيها :

(١) الاستعارة :

الاستعارة لغة ، مأخوذة من استعار المال : طلبه عارية ، واصطلاحاً : استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه ، مع قرينة مانعة من ارادة المعنى الأصلي . وتعرّف أيضاً : بأنها تشبيه حذف أحد طرفيه (المشبه أو المشبه به).

والاستعارة عند الشريف الرضي تكاد أن تكون مرادفاً للمجاز . فنجده في دراساته لها ، وبخاصة في كتابه (تلخيص البيان في مجازات القرآن) يطلق مصطلح الاستعارة على المجاز المرسل والعقلي ، أو يردف أحدهما بالآخر ، كما في قوله عند شرح الآية : (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً)[٧٧] : «والمرض في الأجسام حقيقة ، وفي القلوب استعارة »[٧٨] . تتبيّن من قول الرضي انه أراد بالاستعارة ما هو قسيم الحقيقة . وفي شرح الحديث « ويل لاقماع القول ، ويل للمصرّين » قال الرضي : « وفي هذا الكلام مجاز واستعارة ، لأنه عليه الصلاة والسلام عنى به الذين يكثرون استماع الأقوال واختلاف الكلام ... فيكون ذلك ثالماً في دينهم ، فشبه ـ عليه الصلاة والسلام ـ آذانهم بالأقماع التي يفرغ فيها ضروب القول افراغ المائعات »[٧٩] .

وعليه فان الاستعارة عند الرضي تتسع دائرتها لتشمل أنواعاً من المجاز منها ما كانت علاقته المشابهة،

ومنها ما له علاقات أخرى ، سنذكرها في موضوعي المجاز المرسل والمجاز العقلي . وكذلك تتسع للتشبيه البليغ المحذوف الأداة ، وللكناية ، وللأسلوب الحذف وأنواع من البديع .

أما الاستعارة بمفهومها الاصطلاحي الدقيق لدى المتأخرين من علماء البلاغة ، وهي المجاز القائم على علاقة المشابهة بين المستعار منه والمستعار له، فقد ميّزها الرضي عن غيرها من أنواع المجاز باعطائها وصفاً خاصاً ، كقوله : « استعارة عجيبة » أو « محض استعارة » . كما جاء في تعليقه على الآية : (واخفض لهما جناح الذلّ من الرحمة)[٨٠] ، فقال : « وهذه استعارة عجيبة،وعبارة شريفة ، والمراد بذلك الاخبات للوالدين وإلانة القول لهما ، والرفق بهما »[٨١] .

واستعارة الطائر للولد قامت على علاقة المشابهة بين الاثنين في العلو والخفض . وهذه الاستعارة مكنية ، حذف منها لفظ المستعار منه (الطائر)للمستعار

له (أنت) المضمر وذكر شيء من لوازمه ، وهو (الجناح) .

وكما جاء في شرح الآية : (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة)[٨٢] ، قال : « أي دين الله ، وجعله بمنزلة الصبغ ، لأن أثره ظاهر ، ووسمه لائح ، وهذا من محض الاستعارة »[٨٣] .

قامت الاستعارة في الآية على تشبيه (الدين) ـ وهو المستعار ـ بـ (الصبغ) وهو المستعار بجامع الظهور في الاثنين ، وهذه استعارة تصريحية أصلية صرّح فيها بذكر المستعار منه وهو ما يقابل المشبه به في موضوع التشبيه . وهذا اللفظ اسم جنس وهو أصل في الأسماء ، غير تابع .

وفي شرح قوله ـ تعالى ـ : (فاستبقوا الخيرات)[٨٤] قال الرضي : « وهذه استعارة عجيبة، والمعنى : فبادروا فعل الخيرات إن كنتم على غير أمان من حضور الأجل ، وذلك شبيه لسباق الخيل .. »[٨٥]

وهنا شبّه الفعل (بادروا) بـ (استبقوا) واجريت الاستعارة على سبيل التصريحية التبعية ، حيث صرّح باللفظ المستعار (استبقوا) وهو فعل تابع للاسم .

ومن ذلك قوله في شرح الحديث « يا أنجشة رفقاً بالقوارير » : «وهذه استعارة عجيبة ، لأنه ــ عليه الصلاة والسلام ــ شبّه النساء في ضعف النحائز ، ووهن الغرائز بالقوارير الرقيقة التي يوهنها الخفيف، ويصدعها اللطيف ، فنهى عن أن يسمعهن ذلك الحادي ما يحرّك مواضع الصّبوة »[٨٦] . والاستعارة تصريحية ، لأنه صرح فيها باللفظ المستعار (القوارير) وحذف المستعار له (النساء) .

وتكثر الشواهد على الاستعارة لدى الرضي، ويمكن لمن أحب الاستزادة الوقوف عليها في مواضعها[٨٧] . وتبدو السمة الأدبية في تحليل الاستعارات وشرحها ، فالرضي يصدر عن روح

شاعرة وفكر نيّر تمتد أشعته عبر اللفظ الموحي والتركيب المعبّر ، ليحيط بالفكرة والمعنى ، ثم يعود فينفذ برقة الى مشاعر المتلقي وفكره ليبثه ذاك المعنى، فيفيده ويمتعه ، يقول الدكتور محمد رجب البيومي: ان لدى الشريف الرضي ما يعرف بالحاسة البيانية ، تلك التي تدرك مناحي الجمال في كل لفظ يسطر ، فهو حين يقرأ الآية يتأملها تأمل الفنان المستشف الذي يدرك سرائر الوشائج بين كل لفظ وأخيه ، فلا تشغله الصورة العامة بانطباعها الساحر عن الوقوف لدى كل ملمح من ملامحها الوضيئة(٨٨) . مثال ذلك قوله في شرح الاستعارة الواردة في الآية الكريمة : (الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطّاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات)(٨٩) ، قال الرضي : « وهذه استعارة . والمراد بها اخراج المؤمنين من الكفر الى الايمان ، ومن الغي الى الرشاد ، ومن عمياء الجهل الى بصائر العلم »(٩٠) . وهكذا يعيّن الرضي

الاستعارة ، ويردفها بما يؤكدها ويوضح معناها لمن يخالجه شك في قبولها أو يلحقه لبس في فهمها ، ولم يكتف بذلك بل يحاول أن يرسخ مفهوم الاستعارة في نفس القارىء ، فيبيّن له أصلها ، وسبب استعمالها ، وما المراد منها . فيقول : « وكل ما في القرآن من ذكر الاخراج من الظلمات الى النور ، فالمراد به ما ذكرنا ، وذلك من أحسن التشبيهات ، لأن الكفر كالظلمة التي يتسكع فيها الخابط ، ويضل القاصد ، والايمان كالنور الذي يؤمه الحائر ، ويهتدي به الجائر ، لأن عاقبة الايمان مُضيئة بالايمان والثواب ، وعاقبة الكفر مظلمة بالجحيم والعذاب »(٩١) .

تأمّل قول الرضي تجد انه أوضح أن أصل الاستعارة تشبيه ، والتشبيه هنا عقد مماثلة بين الكفر والظلمات وبين الايمان والنور ، وفي هذه الصورة نقل للمعنى المدرك بالعقل الى ما يدرك بالحواس .
والرضي يزيد في إثارة ملامح تلك الصورة في الآية الكريمة وذلك برسم صورة المتخبط في ظلام الحيرة ،

والمهتدي المستريح الى ضياء اليقين • ثم يجتهد في بيان سبب ايراد الاستعارة وعلاقتها بحقيقة المعنى ، فيقول : « ان عاقبة الايمان مضيئة بالثواب ، وعاقبة الكفر مظلمة بالعذاب » • ثم يردف الرضي ذلك بعبارتين تؤكدان مذهب العرب في الحديث عن الجاهل الأعمى في تصرفه والعالم الخبير بموقفه كيلا يدع في القول زيادة ، فقال : « وفي لسانهم وصف الجهل بالعمى والعمه ووصف العلم بالبصر والجلية ، يقال قد عمّ عليه أمره وأظلم عليه رأيه ، إذا كان جاهلاً بما يرتئيه ويفعله ، ويقال في نقيض ذلك: هو على الواضحة من أمره والجلية من رأيه ، إذا كان عالماً بما يورد ويصدر فيما يأتي ويذر »[٩٢] •

وعلى هذا النهج سار الرضي في تفسير استعارات القرآن الكريم والحديث الشريف ، ولولا خوف الاطالة لأوردنا من ذلك الكثير ، ولكني أود أن أقول ان ما فعله الرضي إزاء استعارات القرآن لم أجده عند من سبقه ، حتى الرماني[٩٣] الذي عرض

لجملة من استعارات القرآن بالشرح والتحليل ، فانه لم يبلغ ما بلغه الرضي من الافاضة في الشرح والعمق في التحليل والاكثار من الشواهد . وها أنا ذي أذكر مثالا واحداً لأجل المقارنة بين الاثنين : قال الرماني في التعليق على قوله ــ تعالى ــ (وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً)[٩٤] : « حقيقة قدمنا هنا عمدنا ، وقدمنا أبلغ منه ، لأنه يدل على أنه عاملهم معاملة القادم من سفر ، لأنه من أجل امهاله لهم كمعاملة الغائب عنهم ، ثم قدم فرآهم على خلاف ما أمرهم ، وفي هذا تحذير من الاغترار بالامهال ، والمعنى الذي يجمعهما العدل ، لأن العمد الى إبطال الفاسد عدل ، والقدوم أبلغ لما بيّنا »[٩٥].

وقال الرضي في شرح الآية ذاتها : « وهذه استعارة ، لأن صفة القدوم لا تصحّ إلاّ على من تجوز عليه الغيبة ، فتجوز منه الأوبة ، والله ــ سبحانه ــ شاهد غير غائب وقائم غير زائل ، فالمعنى : وقصدنا الى ما عملوا أو عمدنا الى ما عملوا،

وذلك كقول القائل : قام فلان بفلان في الناس ، إذا أظهر ذمّة وعيبة ، وليس يريد انه نهض عن قعود ، وتحفّز بعد استقرار وسكون ، وإنما يريد انه قصد الى سبّه ، وتظاهر بثلبه • وقال الشاعر :

فانّ أباكم تارك ما سألتمو
فمهما أتيتم فاقدموه على علم

يقال : قدمت هذا الأمر ، وأنا أقدمه ، إذا أتيته وقصدته • وقد ذكر بعض العلماء في ذلك وجهاً آخر ••»(٩٦) ثم يورد الرضي قول الرماني المذكور أعلاه ، من دون تصريح باسمه ، ولكنه يخالفه في بيان أصل الاستعارة ، قائلا : « والمعتمد على القول الأول »(٩٧) يريد قوله هو •

أرأيت كيف ان الرضي تفوق على الرماني في إصابة الغرض بالشرح الوفير والاستشهاد واحتواء الآراء ثم توجيه القارىء الى ما اعتمده من آراء ؟•

(٢) المجاز المرسل :

أطلق السكاكي مصطلح المرسل على هذا النوع من المجاز موازناً بينه وبين الاستعارة التي تندرج معه في ضرب المجاز اللغوي[٩٨] . وتابعه القزويني والمتأخرون في ذلك ، قال القزويني في تعريفه : « والمجاز ضربان ، مرسل واستعارة ، والمرسل : هو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة غير التشبيه ، كاليد إذا استعملت في النعمة لأن من شأنها أن تصدر عن الجارحة ، ومنها تصل الى المقصود بها ، ويشترط أن يكون في الكلام اشارة الى المولى لها فلا يقال : اتسعت اليد في البلاد أو اقتنيت يداً كما يقال اتسعت النعمة في البلد أو اقتنيت نعمة ، وإنما يقال جلت يده عندي ، وكثرت أياديه لدي ، ونحو ذلك . »[٩٩]

وأنواع المجاز المرسل تزيد على العشرين عند المتأخرين[١٠٠] ، وقد تعيّنت هذه الانواع ، بتعيّن

الملابسات أو العلاقات بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي ، وأشهرها : الجزئية ، الكلية ، السببية ، اعتبار ما كان ، اعتبار ما سيكون ، المكانية أوالمحلية، الحالية ، الآلية ، تسمية الشيء باسم ضده ، الخصوص ، العموم ، اللازمية ، الملزومية ، البدلية ، المبدلية . ونظراً لتعدد علاقاته سمي مرسلا لأنه أرسل عن دعوى التقييد بعلاقة واحدة كما هي الحال في الاستعارة القائمة على التشبيه والمجاز المرسل قيمة فنية ولغوية ، فهو — كما يقول الدكتور كامل حسن البصير — فن رحب ينبسط بين يدي الأديب البليغ ليعبر عما يستجد في حياته من مدلولات وليجسد مشاعره وأفكاره بلا عائق من قيد لغوي غير الذوق السليم والاسلوب العربي الأصيل الذي ترسم شواهده الفنية أسس التعبير وسبيل التفنن(١٠١) .

أورد الرضي شواهد المجاز المرسل في دراساته التطبيقية من دون التصريح باسمه الاصطلاحي،وعدّه من الاستعارة ، وأحياناً يطلق عليه لفظ المجاز مطلقاً

من غير تقييد له بصفة تعينه . من ذلك قوله في الآية الكريمة : (وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرّفد المرفود)[١٠٢] : « فانما قلنا أنه استعارة ، لأن حقيقة الرفد العطية ، يقال : رفده يرفده رَفداً ورفداً بفتح الراء وكسرها ، ولكن اللعنة لما جعلت بدلا من الرّفد لهم عند انتقالهم من دار الى دار على عادة المنتجع المسترفد أو الرجل المتزود ، جاز أن يسمى رفداً على طريق المجاز ، كما قال تعالى : (فبشرهم بعذاب أليم)[١٠٣] ، والبشارة في الأعم الأغلب إنما تكون بالخير لا بالشر ، لكن لما جعل إخبارهم باستحقاق العذاب في موضع البشارة لغيرهم باستحقاق الثواب جاز أن يسمى في ذلك بشارة »[١٠٤] .

بيّن الرضي في كلامه المذكور المجاز المرسل الواقع في لفظ (الرّفد) ، وحقيقته العطية ، ولكن لم تقصد الحقيقة في الآية الكريمة ، وإنما قصد المعنى المجازي (اللعنة) والمسوّغ لذلك هو علاقة البدلية بين المعنيين ، إذ ان أهل النار أعطوا اللعنة بدل

العطية لأهل الجنة ، كما استعملت (البشارة) وهي خاصة بالخير بدل (الانذار) وهو إخبار بالشر والعذاب . وعليه فان (الرّفد) و (بشرهم) مجازان مرسلان علاقتهما البدلية ، وقد أشار الرضي الى هذه العلاقة في قوله : « ولكن اللعنة لما جُعلت بدلا من الرّفد ... جاز أن يسمى رفداً على طريق المجاز » .

ومنه قول الرضي في تعليقه على الآية : (وتمّت كلمة ربّك لأملأنّ جهنّم من الجنّة والنّاس أجمعين)[١٠٥] : « وهذه استعارة ، والمراد ههنا بتمام كلمة الله سبحانه صدق وعيده الذي تقدم الخبر به ، وتمام وقوع مخبره مطابقاً لخبره »[١٠٦] .

نرى فيما ذكر ان الرضي عدّ (كلمة) الله استعارة ، حقيقتها وعيده ، (وكلمة) هي جزء من مجموع الكلام الذي أريد به الوعيد ، ويمكن استعمال الجزء بدلا من الكلّ على سبيل المجاز المرسل . (فكلمة) إذاً مجاز مرسل علاقته الجزئية .

ومن المجاز المرسل أيضاً قوله ـ تعالى ـ : (واصنع الفلك بأعيننا ووحينا)[١٠٧] ، قال الرضي : « وهذه استعارة ، ومعناها : واصنع الفلك بأمرنا ونحن نرعاك ونحفظك ، ليس أنّ هناك عيناً تلحظ ، ولا لساناً يلفظ ، وذلك كما يقول القائل : أنا بعين الله أي بمكان من حفظ الله ، ومن كلامهم للظاعن المشيّع والحميم المودّع : صحبتك عين الله ، أي رعاية الله وحفظه »[١٠٨] .

ذكر الرضي ان المجاز ـ وسماه استعارة ـ قد وقع في لفظ (أعيننا) حيث أُريد به رعايتنا وحفظنا، لكنه لم يذكر نوع المجاز أو علاقته بالحقيقة . أما المتأخرون فقد سمّوا هذه العلاقة الآلية ، لأن العين هي آلة النظر والرعاية والحفظ ، وهذه العلاقة هي التي سوّغت استعمال المجاز .

ومثل ذلك قوله ـ تعالى ـ : (وبشّر الذين آمنوا أنّ لهم قدم صدق عند ربّهم)[١٠٩] . قال

الرضي مبيّناً المجاز : « وهـذه استعارة لأن المـراد بالقدم ههنا السابقة في الايمان ، والتقدم في الاخلاص، والعبارة عن ذلك بلفظ القدم غاية في البلاغـة ، لأن بالقَدم يكون السبق والتقـدم فسميت قدماً لذلك ، وقال بعضهم : ايمانهم في الدنيا هو قدمهم في الآخرة ، لأن معنى القدم في العربية الشيء تقدمه أمامك ليكون عدة لك حتى تقدم عليه . »[١١٠] .

يوقفنا الرضي في كلامـه المذكور على المجـاز (قدم) وهو عدة الاقدام في عمل ما ، وعليه فانه يصح استعماله بدلا من العمل الناجم عنه على سبيل المجـاز المرسل ، وتكون علاقته الآلية . وأمثلة هذا المجـاز كثيرة في القرآن الكريم[١١١] يتناولها الرضي بالشرح والتحليل كما بيّنا . ومثـل ذلك يفعل في الحـديث الشريف ، فيقول شارحاً مجاز الحديث « انّ هـذه الاخلاق بيد الله فمن شاء أن يمنحه منها خلقاً حسـناً فعل » : وذكر اليد ههنا مجاز ، « والمراد ان الاخلاق في قبضة الله ، وتحت ملكة الله ـ تعالى ـ فلما كان

في الأكثر ما يقبضه الانسان ويملكه إنما يقبضه بيده خاطب ـ عليه الصلاةوالسلام ـ بلسان العرف المتقرر عند المخاطبين ، وفي لغة السامعين ..»(١١٢) .

ومثل ذلك قولـه ـ صلى الله عليه وسـلم ـ لنسائه « أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً » قال الرضي معلقاً : « إنما أراد عليه الصلاة والسلام بطول اليـد كثرة البرّ ، وبذل الوفر ، لأن الأغلب أن يكـون ما يعطيه الانسان غيره من الرّفد والبرّ أن يعطيه ذلك بيده ، فسمّى النّيل باسم اليد »(١١٣) .

أشار الرضي في كلا الحديثين الى أن (اليـد) مجاز ، وأشار الى علاقة اليد بما ينجم عنها من أعمال، ففي الحديث الأول ، أُريد باليد القبضة والملـك ، وفي الحديث الثاني أُريد بها البـذل والعطاء ، وهي آلتهما معاً ، لذا فان اليد مجاز مرسل علاقته الآلية .

ويتعدد المجاز المرسـل في الحديث الشريف ، وتتعدد أنواعه وعلاقاته ولكنني أكتفي بما ذكـرت، وأنتقل الى نوع آخر من المجاز ، وهو المجاز العقلي.

(٣) المجاز العقلي :

هو ما يقابل المجاز اللغوي (المرسل والاستعارة) المذكور سابقاً ، ويفرّق عبدالقاهر الجرجاني بينهما في قوله : « واعلم ان المجاز على ضربين ، مجاز من طريق اللغة ، ومجاز من طريق المعنى والمعقول ، فاذا وصفنا بالمجاز الكلمة المفردة ، كقولنا : (اليد) مجاز في النعمة ، و (الأسد) مجاز في الانسان ، كان حكماً أجريناه على ما جرى عليه من طريق اللغة ، لأنا أردنا أن المتكلم قد جاز باللفظة أصلها الذي وقعت له ابتداء في اللغة وأوقعها على غير ذلك . إما تشبيهاً ، وإما لصلة وملابسة بين ما نقلها اليه وما نقلها عنه . ومتى وصفنا بالمجاز الجملة من الكلام كان مجازاً من طريق المعقول دون اللغة ، وذلك ان الأوصاف اللاحقة للجمل من حيث هي جمل لا يصح ردها الى اللغة ، ولا وجه لنسبتها الى واضعها ، لأن التأليف هو اسناد فعل الى اسم أو اسم الى اسم ، وذلك شيء يحصل

بقصد المتكلم ، فلا يصير (ضرب) خبراً عن زيد بواضع اللغة بل بمن قصد إثبات الضرب فعلا له »[١١٤] .

وعليه فان المجاز العقلي يقع في الجملة لا في المفرد ، بطريق الاسناد ، أي اسناد الفعل أو ما في معناه الى غير ما هو له في الأصل ، ويعرف هذا المجاز من جهة العقل لا اللغة . مثاله : جرى النهر . حيث أسند الفعل (جرى) الى (النهر) وهو المحل أو المكان الذي لا يجري ، وكان حقه أن يسند الى (الماء) فيقال على سبيل الحقيقة : جرى ماء النهر .

وللمجاز العقلي أنواع تقوم على أنواع علاقاته بالحقيقة ، أشهرها[١١٥] :

١ـ المفعولية ـ فيما بني للفاعل وأسند الى المفعول به ، نحو قوله ـ تعالى ـ «عيشة راضية»[١١٦] .

٢ـ الفاعلية ، فيما بني للمفعول وأسند الى الفاعل، مثل : سيل مفعم .

٣ـ المصدرية ، فيما أُسند الى المصدر مجازاً كقول أبي فراس الحمداني :

سيذكرني قومي إذا جدّ جدّهم
وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

٤ـ الزمانية ، فيما أُسند الى الزمان مجازاً ، نحو : نهاره صائم وليله قائم .

٥ـ المكانية ، فيما أُسند الى المكان ، كقوله تعالى : « وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم »(١١٧) .

٦ـ السببية ، فيما أُسند الى السبب ، كقول الشاعر:

إني لمن معشر أفنى أوائلهم
قيل الكماة : ألا أين المحامونا ؟

أسند الفعل (أفنى) الى السبب (قيل الكماة ..) .

أما موقف الرضي من المجاز العقلي ، فانه ذكر شواهده في القرآن الكريم ، والحديث الشريف ،

وشـرحها ولكنه ـ كعـادته ـ لـم يسمه باسمـه الاصطلاحي بل أطلق عليه اسم الاستعارة ، والدارس المدقق يستشف من خلال الشرح والتحليل ان الرضي أراد بهذا المجاز لوناً غير الاستعارة والمجاز المرسل ، حيث يشير الى نسبة الفعل أو اسناده الى غير فاعلـه الحقيقي . مثال ذلك ما جاء في شـرح الآية : (ثـم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتـم لهنّ إلاّ قليلا مما تحصنون)[118] . قال الرضي :« وهذه استعارة ، والمراد السبع الشداد : السـنون المجدبة، ومعنى (يأكلن ما قدمتم لهن) أي ينفد فيهن ما أدخر نموه لهن من السنين المخصبة ، وجرى على ذلك عادة العرب في قولهم : أكلت آل فلان السنة : يريـدون مسّهم الضرّ في عام الجدب . وقال بعضهم : (إنما نسب تعالى الأكل اليهن لأن الناس يأكلون فيهـن ما ادخروه ، ويستنفدون ما أعدّوه » كمـا يقال : يوم آمن ، وليـل خائف ، أي يأمن الناس في هـذا ، ويخافون في هذا »[119] .

نلمح في القول الذي نقله لنا الرضي معنى المجاز العقلي ، إذ انه يقوم على نسبة الفعل (يأكل) الى (السنين) . والسنون ليس الفاعل الحقيقي ، وإنما هو ظرف زمان وقع فيه الأكل من قبل الناس ،والتعبير الحقيقي ينبغي أن يكون كالآتي : يأكل الناس في السنين المجدبة ما ادخروه . فحذف الفاعل (الناس) وحلّ ظرف الزمان (السنون) محله ، على سبيل المجاز العقلي ، وعلاقته الزمانية . ويوثق أصحاب هذا القول قولهم ، بذكر ما جاء على لسان العرب من هذا القبيل إذ قالوا : يوم آمن ، وليل خائف ، أي يأمن الناس في ذاك اليوم ، ويخافون في ذاك الليل، حذف في التعبيرين الفاعل الحقيقي (الناس) وأُقيم الظرف مقامه ، على سبيل المجاز العقلي ، والعلاقة المسوّغة لاستعمال المجاز هي الزمانية ، ومثله قوله ـ تعالى ـ: (بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر باللّه ونجعل له أنداداً)[١٢٠] قال الرضي: « وهذه استعارة، والمراد بمكر الليل والنهار : ما يتوقع من مكرهم في

الليل والنهار . فأضاف تعالى المكر اليهمـا لوقوعـه فيهما »[١٢١] .

نجد فيما ذكر ان الرضي يطلـق لفظ الاستعارة على المجاز العقلـي ، ولكن شرحه ينبىء بأنه مجـاز عقلي ، علاقته الزمانية، حيث يقول: أضاف ـ تعالى ـ المكر الى الليل والنهـار لوقوعه فيهما . وهـذا هو أساس المجاز العقلي .

وعلى هذا النهج يسير الرضـي في التنبيه على المجازات العقلية في القرآن الكريم ، فيقول في قولـه ـ تعالى ـ (والضحى والليـل إذا سـجى)[١٢٢] : « وهذه استعارة ، ومعنى سجى أي سكن ، والليـل لا يسكن ، وإنما تسكن حركات الناس فيه ، فأجرى ـ سبحانه ـ السكون عليه لما كان السكون واقعـاً فيه »[١٢٣] .

ومن المجازات العقلية التي تقوم على علاقـات أخرى غير الزمانية ما جاء في قوله تعالى: (ليبلونّكم

الله بشيء من الصّيد تناله أيديَكم ورماحكم »(١٢٤)
قال الرضي : « وهذه استعارة ، لأن الفارس هو الذي ينال القنيص برمحه ، ولكن لما كان مباشراً حسن لهذه الحال أن يسمى نائلا »(١٢٥) .

عيّن الرضي المجاز العقلي وهو جملة (تنال الرماح القنيصَ) باسناد النيل الى الرماح ، وحقيقته: ينال الفارس القنيص برمحه ، وبيّن ان المبرر لاسناد الفعل الى الرماح هو أن الرمح مباشر للقنيص ، أي انه سبب في إصابته ، لذا كانت علاقة المجاز هنا سببية .

ومثله ما جاء في قوله ـ تعالى ـ (وأخذت الذين ظلموا الصيحة ، فأصبحوا في ديارهم جاثمين)(١٢٦) . قال الرضي : « وهذه استعارة لأن حقيقة الأخذ إنما يوصف بها الاجسام ، والصيحة عرض من الاعراض ، لأنها بعض الأصوات ، إلاّ انها أقوى للاسماع صكاً وقرعاً ، وأبلغ في القلوب وجلا

وروعاً .. والمراد أنّ هلاكهم لما كان عن الصيحة حسن أن يقال : انها أخذتهم ، بمعنى ذهبت بنفوسهم وأتت على جمعهم »[127] .

عيَّن الرضي فيما سبق المجاز العقلي ، وحقيقته، وعلاقته بها ، ثم بيَّن بلاغته وفضله .

وفي قوله ـ تعالى ـ (فهو في عيشة راضية)[128] ، قال الرضي : « كان الوجه أن يقال : في عيشة مرضية ، ولكن المعنى خرج على مخرج قولهم : شعر شاعر ، وليل ساهر ، إذا شعر في ذلك الشعر ، وسهر في ذلك الليل ، فكأنهما وصفا بما يكون منهما ، فبان أنّ تلك العيشة لما كانت بحيث يرضى الانسان فيها حاله ، جاز أن توصف هي بالرضا، فيقال راضية »[129] .

نبّه الرضي فيما ذكر على المجاز (راضية) المسندة الى (عيشة) ، والحقيقة اسناد مرضية الى العيشة،ولكن الاية خرجت مخرج اسناد الفاعل الى غير ما هو له ، وتعرف هذه العلاقة بالمفعولية .

ومن المجاز العقلي في الحديث الشريف ، قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « يكون قبل الدّجال سنون خدّاعة » عدّه الرضي من الاستعارة ـ على عادته ـ وبيّن حقيقته قائلا : « ان المراد بذلك إتصال المحول[١٣٠] وقلة الامطار في تلك السنين » وقال : وقيل : السنون الخداعة هي التي تخدع زكاء الزرع ، أي تنقصه ، من قولهم : دينار خادع ، وهو الذي ينقص من وزنه أو من ذهبه . وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : سنون خدّاعة ، والمطر هو الخادع ، إلاّ أن خدع المطر لما كان فيها حسن اجراء الاسم عليها »[١٣١] . يوقفنا الرضي في شرحه للحديث على المجاز العقلي ، الذي أسند فيه لفظ (خداعة) وهو صيغة مبالغة ، ومما هو في معنى الفعل الى غير ما هو له في الأصل (السنون) وهو ظرف زمان ، وكان ينبغي أن يسند الى الأمطار ، ولكن لما حصل الخدع في ذاك الظرف صحّ أن يسند اليه ، بحكم العلاقة الزمانية .

الكنايـــة :

قال الجرجاني : « هي أن يريـد المتكلم إثبـات معنى من المعاني فلا يذكـره باللفظ الموضوع لـه في اللغة ولكن يجيء الى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومىء به اليه ويجعله دليلا عليه . مثال ذلك قولهم: هو طويل النجاد ، يريدون طويل القامة وفي المـرأة : نؤوم الضحى ، والمراد انها مترفة مخدومة، فقد أرادوا في هذا ـ كما ترى ـ معنى ، ثم لم يذكروه بلفظـه الخاص به ، ولكنهم توصلوا اليه بذكر معنى آخـر من شأنه أن يردفه في الوجود ، وأن يكون إذا كان ، أفلا ترى ان القامة إذا طالت طال النجاد ؟ وإذا كانت المرأة مترفة ردف ذلك أن تنام الى الضحى؟»(١٣٢) .

وقال القزويني في تعريفهـا : « لفظ أُريد به لازم معناه مع جواز ارادة معناه حينئذ »(١٣٣). وبهذا فرّق بين المجاز والكناية .

والكناية على ثلاثة أنواع هي : الكناية عن الصفة ، والكناية عن الموصوف ، والكناية عن النسبة. ولها أنواع أخرى من حيث الوسائط التي توصل الى المكنى عنه ، وهي : التعريض ، والتلويح ، والرمز ، والاشارة(١٣٤) .

وقد كشف القدامى بلاغة هذا النوع من التعبير، وأجمعوا على ان الكناية أبلغ من الافصاح،والتعريض أوقع من التصريح . وتفسير ذلك عند الجرجاني ، أنّ في الكناية زيادة في إثبات المعنى ، وهذا أبلغ وآكد وأشد ، إذ ان إثبات الصفة باثبات دليلها وبما هو شاهد في وجودها آكد وأبلغ في الدعوى(١٣٥) .

والكناية عند الشريف الرضي تدخل ضمن دائرة الاستعارة بمفهومها العام الذي يضم أنواع المجاز ، ولكنه يميزها عن غيرها بذكر اسمها الاصطلاحي أو بشرح معناها ، مثال ذلك ما جاء في قوله تعالى : « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل

البسط)[١٣٦] ، يقول الرضي في بيان الكناية وشرحها : « وهذه استعارة ، وليس المراد بها اليد التي هي الجارحة على الحقيقة ، وإنما الكلام الأول كناية عن التقتير ، والكلام الآخر كناية عن التبذير ، وكلاهما مذموم ، حتى يقف كل منهما عند حدّه ولا يجري إلاّ الى أمده »[١٣٧] .

ألا ترى الى الرضي ، كيف صرّح بلفظ الكناية ، وبيّن نوعها ؟ فهي كناية عن صفتي التقتير والتبذير ، عبّر ـ سبحانه ـ عنهما باليد المغلولة والمبسوطة . وكقوله أيضاً في الآية : (وعندهم قاصرات الطّرف عين ، كأنهن بيض مكنون)[١٣٨] : « وهذه استعارة ، والمراد بالقاصرات الطرف ههنا : اللواتي جعلن نظرهن مقصوراً على أزواجهن ، أي حبسن النظر عليهم فلا يتعدينهم الى غيرهم ، وجيء بذكر الطرف على طريق المجاز ، وإلاّ فحقيقة المعنى انهن حبسن الأنفس على الأزواج عفة وديناً وخلقاً وصوناً وإنما وقعت الكناية عن هذا المعنى بقصر

الطرف لأن طماح الأعين في الاكثر يكون سبباً لتتبع النفوس وتطرّب القلوب »[139] .

أشار الرضي الى أنه جيء في الآيـة (بقصـر الطّرف) على سبيل المجـاز كناية عن صفة العفـة والصون ، وذكر العلاقة بين الطّـرف ، والنفس ، إذ ان الطرف هو رسول النفس والقلب . وعلى هـذا قول الشاعرة :

وكنت إذا أرسـلت طرفك رائداً
لقلبك يوماً أتعبتك المناظر[140]

وفي قوله ــ تعالى ــ (يوم يكشف عن ساق،ويدعون الى السجود فلا يستطيعون)[141] . قال الرضـي : « وهذه استعارة والمراد بها الكناية عن هـول الأمر وشدته ، وعظم الخطب وفظاعته ، لأن من عادة الناس أن يشمـّروا عن سوقهم عنـد الامور الصعبـة التي يحتاج فيها الى المعاركة ، ويفزع عندها الى الدفـاع

والممانعة ، فيكون تشمير الذيول عند ذلك أمكن للقراع وأصدق للمصاع »[١٤٢] .

وفي قوله ـ تعالى ـ (والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق)[١٤٣] قال الرضي : « الطارق ههنا كناية عن النجم ، فحقيقة الطارق هو الانسان الذي يطرق ليلا ، فلما كان النجم لا يظهر إلاّ في حال الليل حسن أن يسمّى طارقاً »[١٤٤]

يعدّ الرضي (الطارق) كناية عن موصوف وهو النجم . وهكذا نجد الرضي فيما أوردناه له من تعليقات يصرّح بمصطلح الكناية ويشرح ما قصد بها ، وفي بعض الاحيان نجده لا يصرّح بذكر الكناية وإنما يومىء اليها ويشير الى نوعها وما أُريد بها أثناء تعليقه على النص ، مثال ذلك ما جاء في شرح قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ليدخلن هذا الدين على ما دخل عليه الليل » ، حيث قال الرضي : « وهذا القول مجاز ، والمراد انتشار الاسلام

في الشرق والغرب واشتماله على البر والبحر»[١٤٥]

يفهم من كلام الرضي أنّ في الحديث كناية عن صفة الانتشار والشيوع .

التشبيه :

التشبيه لغة : التمثيل ، واصطلاحاً ، عقد مماثلة بين أمرين ، أو أكثر قصد اشتراكهما في صفة أو أكثر ، بأداة ، لغرض يقصده المتكلم[١٤٦] .

وللتشبيه أربعة أركان هي : المشبه والمشبه به ووجه الشبه وأداة التشبيه . كقوله تعالى : (وما أمر الساعة إلاّ كلمح البصر أو هو أقرب)[١٤٧] .

فالمشبه في الآية الكريمة (أمر الساعة) والمشبه به (لمح البصر) والأداة (الكاف) ووجه الشبه (القرب) .

ويعرّف المشبه والمشبه به بطرفي التشبيه، وذلك لوجوب ورودهما في التشبيه أما الأداة ووجه الشبه

فيجوز حذف أحدهما أو كليهما ، دون أن يغيّر هذا الحذف من التشبيه .

وللتشبيه أنواع عديدة تتعلق بالاركان المذكورة منها : المرسل والمؤكد والمجمل والمفصل ، والمفرد والمتعدد والمركب والبليغ والضمني والمقلوب والحسي والعقلي .

وينعقد التشبيه لغرض من الاغراض ، كالبيان والايضاح ، أو المدح والتزيين أو الابداع والاستطراف أو التقبيح ، أو بيان مقدار الصفة المراد اظهارها ، أو امكان وقوعها ، وما الى ذلك ، وإذا تحقق الغرض المقصود ، تحققت البلاغة .

والتشبيه المحذوف الأداة يعدّه الأوائل ومنهم الشريف الرضي من المجاز . وقد وقفنا على شواهد من القرآن الكريم والحديث الشريف ، يوردها الرضي ضمن مجازات القرآن والمجازات النبوية ويسمّيها استعارة ، ولكنه في أثناء شرح تلك الشواهد ، يعيّن

المشبه والمشبه به (طرفي التشبيه) المذكورين • والاستعارة ـ كما تعلم ـ لا يذكر فيها الطرفان ، وإنما يكتفى بواحد منهما ، ويعيّن أيضاً وجه الشبه بين هذين الطرفين ، وهو الصفة المشتركة بينهما ، مثال ذلك ما جاء في شرح قوله تعالى (الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً)[١٤٨] • قال الرضي: « وهذه استعارة لأنه ـ سبحانه ـ شبّه الارض في الامتهاد بالفراش ، والسماء في الارتفاع بالبناء »[١٤٩] •

فالأرض والسماء مشبّهان ، والفراش والبناء ، مشبّه بهما ، أما وجها الشبه فهما : الامتهاد والارتفاع على التوالي •

وهكذا يبسط لنا الرضي صورة التشبيه القائمة على طرفيه والصفة المشتركة بينهما الداعية الى عقد المماثلة ، ولكن أداة التشبيه محذوفة ، ولذا عدّ الرضي هذه الصورة ضمن المجاز أو الاستعارة ، لأن

حذف الأداة أدعى لدخول المشبه في جنس المشبه به ، وهذا أبلغ في إثبات الصفة له ، وأوكد .

والرضي في بعض الاحيان يشير الى التشبيه اشارة خفية من دون شرح وتعيين لأركانه ، كما جاء في قوله تعالى (منه آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب)[١٥٠] . قال الرضي : « وهذه استعارة ، والمراد بها ان هذه الآيات جماع الكتاب وأصله ، فهي بمنزلة الأم ، وكأن سائر الكتاب يتبعها ويتعلق بها كما يتبع الولد آثار أمه ويفزع اليها في مهمّه »[١٥١] .

ومثل ذلك قوله ـ تعالى ـ (الله نور السموات والأرض)[١٥٢] . شرحه الرضي بقوله : « المراد بذلك عند بعض العلماء انه هادي أهل السموات والأرض بصوادع برهانه ونواصع بيانه ، كما يهتدى بالأنوار الثاقبة والشهب اللامعة »[١٥٣] .

والرضي ينظر الى التشبيه ـ أحياناً ـ نظرته الى المجاز ، فيشير الى حقيقته أو ما أُريد به ، فيقول

في شرح الحديث الشريف المقول في الخيل : « ظهورها حرز وبطونها كنز » : « وهذا القول خارج على طريق المجاز لأن بطون الخيل على الحقيقة ليست بكنز وإنما أراد ـ عليه الصلاة والسلام ـ ان أصحابها ينتجونها من الافلاء ما تنمى به أموالهم وتحسن معه أحوالهم فهم باستيداع بطونها نطف الفحولة كمن كنز كنزاً إذا أراده وجده ، وإذا لجأ اليه دعم ظهره كما يكون الكانز عند الرجوع الى كنزه ، وقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ وظهورها حرز فالمراد انها منجاة من المعاطب ، وملجأة عند المهارب »(١٥٤) .

والرضي في بعض الأحيان يدخل التشبيه المظهر الأداة في دائرة المجاز فيقول في قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ يذكر الخوارج : « يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » . فقال : « في هذا القول مجاز لأنه ـ عليه السلام ـ شبّه دخولهم في الدين وخروجهم منه بسرعة من غير أن يتعلقوا بعقدته

بالسهم الذي أصاب الرميّة ، وهي الطريدة ، ثم خرج مسرعاً من جسمها »[155] .

أكتفي بهذا القدر من الأمثلة والشواهد ،وأكتفي أيضاً بما أوردت من علم البيان ، لكن المجاز عند الرضي لم يقف عند حدود علم البيان ـ كما أسلفنا ـ وإنما يمتد ليضم بعض موضوعات علم المعاني وعلم البديع ، وها أنا ذي أعرض لما ذكر منهما .

علم المعاني :

ترسخت أصول هذا العلم على يد عبدالقاهر الجرجاني في دراسته عن النظم ومعاني النحو[156] ، وعرّفه السكاكي بقوله : « هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الافادة ، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره »[157] .

وأوضح القزويني هذا التعريف فقال : « علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى

الحال »[158] . وحصر علم المعاني في ثمانية أبـواب هي : ١ـ أحوال الاسـناد الخبري ، ٢ـ أحـوال المسند اليه ، ٣ـ أحوال المسند ، ٤ـ أحوال متعلقات الفعل ، ٥ـ القصـر ، ٦ـ الانشـاء ، ٧ـ الفصـل والوصل ، ٨ـ الايجاز والاطناب[159] .

وعرض الرضيّ لبعض الموضوعات المذكـورة بالتعليق والاستشهاد ، من ذلك :

الايجـاز والاطنـاب :

والايجاز ـ لغة ـ التقصير ، وأوجزت الكلام قصّرته . والايجاز اصطلاحاً : التعبير عـن المعنـى بأقل ما يمكـن من اللفظ مع الوفـاء به . وعرّفـه الرماني بقوله : « هو العبارة عن الغرض بأقل مايمكن من الحروف »[160] ، وزاد الرازي عليه : « مـن غير اخلال »[161] .

أما الاطناب في اللغة فهو الاطالة . وفي الاصطلاح: زيادة اللفظ على المعنى لفائدة[١٦٢] .

والايجاز والاطناب أسلوبان في الكلام ، شغلا منذ عهد مبكر النقاد والبلاغيين فعقدوا لهما فصولاً ضافية في دراساتهم بيّنوا فيها مدلولهما ومواضعهما وبلاغتهما . وكان العرب يميلون الى الايجاز ويعدّونه البلاغة بعينها ، إذا لم يكن هناك ما يدعو الى الاطناب للوفاء بمقتضيات الاحوال . وعلى الجملة فان الايجاز والاطناب يُحتاج اليهما في جميع الكلام ، ولكل واحد منهما موضع . فالحاجة الى الايجاز في موضعه كالحاجة الى الاطناب في مكانه ، فمن أزال التدبير في ذلك عن جهته ، واستعمل الاطناب في موضع الايجاز ، أخطأ »[١٦٣] .

والايجاز ضربان : الاول ايجاز قصر ، وهو تقليل الالفاظ وتكثير المعاني ، ويرى ابن الاثير ان التنبه لهذا النوع عسر ، لأنه يحتاج الى فضل تأمل »[١٦٤] .
ومن ذلك قوله تعالى : (ولكم في القصاص

حياة)[١٦٥] . ويراه الرضي اختصاراً وابعاداً في مذاهب البلاغة[١٦٦] .

أما الثاني فهو ايجاز الحذف ، وهو ما يحذف منه المفرد أو الجملة لدلالة الباقي عليه[١٦٧] . وقد عني المتقدمون بموضوع الحذف ، فأفرد له عبدالقاهر الجرجاني باباً مستقلاً ، ذكر فيه مواضعه وبلاغته، مع جملة مختارة من شواهده[١٦٨] . وعدّه بعضهم من المجاز[١٦٩] ، وهذا ما ذهب اليه الرضي ، ويأتي ابن أبي الاصبع المصري (ت٦٥٤هـ) برأي[١٧٠] يجم بين ما ذهب اليه المتقدمون في عدّ الحذف من المجار وماذهب اليه المتأخرون في جعله حقيقة يدخل في أسلو. الايجاز فقال: «وعندي أن الايجاز على قسمين: قسم مجازي ، وقسم حقيقي . فما كان حقيقياً بقي عليه اسم الايجاز ، وما كان مجازياً، وضعوا لكل نوع منه اسماً يخصّه ويناسب اشتقاقه ، فان المجاز ايجاز،فكل مجاز ايجاز ، ولا ينعكس ، وهو حذف بعض الكلام لدلالة الباقي عليه ، أو للاستغناء بالقرينة عنه ، مثال

الاول : (واسأل القرية)[١٧١] . ومثال الثاني : (حتى توارت بالحجاب)[١٧٢] .

ونعود من هذا التقديم الى الرضي لنقف على رأيه في هذين الاسلوبين (الايجاز والاطناب) فنجده يشيد بالايجاز ويجعله من دلائل الاقتدار والفصاحة، كما انه يرغب في الاطناب إذا كان المقام يقتضيه أو فيه زيادة فائدة ، فقال مشيراً الى وجودهما في القرآن الكريم : « وقد يسقط من القرآن كلم وحروف ، ويدل فحوى الخطاب عليها اختصاراً وحذفاً ، وابعاداً في مذاهب البلاغة ، وإغراقاً في منازع الفصاحة، ولأن فيما يبقى أدلة على ما يلقى ، إذ كانت البلاغة عند أهل اللسان لمحة دالة واشارة مقنعة ، ولا يجوز أن تزاد فيه الكلم والحروف التي ليس فيها زيادة معانٍ أو أدلة على معانٍ ، لأن ذلك من قبيل العيّ والفهاهة، كما ان الأول من دلائل الاقتدار والفصاحة »[١٧٣] .

وعرض الرضي لايجاز الحذف بذكر شواهده ، وبيان أنواعه وبلاغته ، فقال منبهاً على حذف الموصوف

في قوله تعالى : (ليس لوقعتها كاذبة)[١٧٤] : « قيل ليس لها قضية كاذبة ، لاخبار الله سبحانه بها ، وقيام الدلائل عليها ، فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه . وذلك في كلامه أظهر من أن يتعاطى بيانه »[١٧٥] . وأشار الى حذف الصفة في قوله تعالى (انه ليس من أهلك)[١٧٦] ، فقال : « أي ليس من أهلك المقتدين بك ، السالكين لمذاهبك »[١٧٧] .

وقد تحذف الجملة كما يحذف المفرد ، إذا كان ذكر غيرها يغني عنها ، قال الرضي معلقاً على قوله تعالى — (أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا)[١٧٨] : « وليس يصحّ على ظاهر الكلام أن يؤمر شعيب بأن يترك قومه شيئاً هم عليه ، وإنما المعنى — والله أعلم — أصلاتك تأمرك أن تأمرنا بترك ما يعبد آباؤنا ؟ فاكتفى بذكر الأمر الأول عن ذكر الثاني ، لأنه كالمعلوم من فحوى الكلام ، وهذا من غوامض أسرار القرآن »[١٧٩].

ويعدّ الرضيّ الحذف من الاستعارة ، ففي قوله

تعالى : « هم درجـات عند الله »[١٨٠] قال : « وهذه استعارة لأن الانسان غير الدرجة وإنما المراد بذلك هم ذوو درجات متفاوتة عند الله ، فالمؤمن درجته مرتفعة والكافر درجته متّضعة »[١٨١] .

وعن قوله ـ تعالى ـ (وأشـربوا في قلوبهـم العجل بكفرهم)[١٨٢] .

قال الرضي : « وهذه استعارة ، والمراد بها صفة قلوبهم بالمبالغة في حب العجل ، وحذف حبّ العجل لدلالة الكلام عليه ، لأن القلـوب لا يصحّ وصفهـا بتشرب العجل على الحقيقة »[١٨٣] .

هذا الى غير ذلك من شواهد الحذف في القرآن الكريم التي عدّها الرضي استعارة[*] ، ومن شواهده في الحديث قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ « انّ إبراهيم ابني مـات في الثّدي وأنّ له لظئرين[١٨٤] يكملان رضاعه في الجنة » ، قال الرضي : « (مات في الثّدي) مجاز ، والمراد ان الموت أصابه وهو يرضع ..

ولا بد من حمل الكلام على تقدير مضاف محذوف ، وهو رضاع الثدي ، ولذلك نظائر كثيرة وبابه ما جاء في التنزيل من قوله ـ تعالى ـ : (واسأل القرية) والمراد أهل القرية »[185] .

وقد نوّه الشريف الرضي ببلاغة هذا الأسلوب في تعليقه على الآية الكريمة : (قال لو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد)[186] ، فقال : « جاء جواب لو ههنا محذوفاً ، والمعنى لو أنني على هذه الصفة لحلت بينكم وبين ما هممتم به من الفساد ، واردتموه من ذنوب فحشاء ، والحذف ههنا أبلغ لأنه يوهم المتوعّد بعظيم الجزاء ، وبغليظ النكال ، ويصرف وهمه الى ضروب العقاب ولا يقف به عند جنس من أجناس المخلوقات المتوقعات »[187] .

يشير الرضي في قوله المذكور الى ان الحذف في الآية أثار مشاعر نفسية مختلطة لدى المخاطبين وردود فعل واستجابة ينشدها لوط ـ عليه السلام ـ . وبهذا يبلغ الكلام غايته .

وكما يثني الرضي على الايجاز ويبيّن أثره في الكلام ، فكذلك يستحسن الاطناب في موضعه ويبيّن فائدته ، كما نجد في تعليقه على قوله ـ تعالى ـ (فانها لا تعمي الابصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور)[188] فقال مبيّناً الفائدة من ذكر (التي في الصدور) في قوله ـ سبحانه ـ : « والقلب لا يكون إلاّ في الصدر ، فان هذا الاسم الذي هو القلب لما كان فيه اشتراك بين مسمّيات كقلب الانسان ، وقلب النخلة ، والقلب الذي هو الصميم والصريح ، من قولهم هو عربيّ قلباً ، والقلب هو مصدر قلبت الشيء أقلبه قلباً ، حسن أن يزال اللبس بقوله تعالى : (القلوب التي في الصدور) احترازاً من تجويز الاشتراك »[189] . إذاً أفاد الاطناب هنا التوضيح وإزالة اللبس الحاصل من اشتراك المعاني .

وقال معلقاً على الآية الكريمة : (ما يأكلون في بطونهم إلاّ النار)[190] : « (في بطونهم) زيادة معنى، وإن كان كل آكل إنما يأكل في بطنه ، وذلك أنه أفظع

سماعاً وأشد ايجاعاً ، وليس قول الرجل للآخر : انك تأكـل النار ، مثـل قوله : انـك تدخل النـار في بطنك »[191] .

تمكن الرضي بحاسته الأدبية من استشفاف المعنى المراد من زيـادة (في بطونهم) ذلك هو إثارة الألـم النفسي لدى المخاطبين بشكل أشد من الألم الجسدي، والقرآن الكريم حافل بأساليب وصور موحية بشتى الأحاسيس والعواطف التي تتضافر مع نداء العقـل الواعي لاقامة الدين القويم وخلق الانسان المسلم . وللرضي وقفات عديدة عند بيان الأثر النفسـي التي تحدثه بلاغة الآيات الكريمة يمكن الوقوف عليها في مواضعها[192] .

وللاطناب طرق عديـدة ودواعٍ اليها مختلفة ، ذكر الرضي بعضها عندما وقف على مجازات القـرآن الكريم ، ومن تلك الطرق التكرير ، واقامة الظاهـر مقام المضمر ، وذكر ان هذه الأساليب وردت في القرآن

لأسباب ، وتضمنت أسراراً بلاغية وفوائد لم تكن في غيرهـا ، وكان الرضي ينبـه على تلك الأسـاليب وفوائدها ، أو يردّ من الحاق شبهة باعجاز القرآن من خلال ذلك الأسـلوب ، فقال : « فان قال قائل انـه ـ تعالى ـ كرر قوله : (ويحذّركم الله نفسه)[١٩٣] في موضعين متقاربين من هذه السورة فما الفائدة من ذلك ؟ فالجواب : ان ذلك ليس بتكرار لأن الذي عناه بالآيـة الاولى غير الذي عناه بالآيـة الأخرى ، لأن الاولى إنّما حذرهم فيها عقابه على موالاة الكفـار ، والثانية إنما حذرهم فيها على مواقعة سائر المعاصي ، فحسن إعادة التحـذير عند كل منهيّ عنه ليكـون الخوف أعم والزجر أبلغ ، وليعلم أيضاً ان المجـرمين في العقاب على حدّ سواء فيكون التناهي عن أحدهما كالتناهي عن الآخر ، وقد يجوز أيضاً أن تكون الآية الثانية نزلت بعد الأولى بزمان متراخ فحسن التكرير فيها لانفراج ما بين الاولى وبينها »[١٩٤] . وهكذا نبّه الرضي السائل على ان إعادة الآية ليس تكـراراً

كما يبدو له من ظاهر اللفظ ، وإنما هو معنى ثان أراده ـ تعالى ـ مخالف للمعنى الاول ، وبذلك تكون للتكرير فائدة اقتضاها المعنى وهو التحذير على موالاة الكفار وموافعة سائر المعاصي ، وبالتكرير يكون الخوف أعمّ والزجر أبلغ ، وهذا معروف عند العرب ، فقد قال الفرّاء : « والكلمة قد تكررها العرب على التغليظ والتخويف »[١٩٥] . وسمّاه أبو عبيدة معمر بن المثنى (مجاز المكرر)[١٩٦] .

ومن فوائد التكرير أيضاً وأسرار بلاغته في القرآن الكريم ، التفخيم ، وهذا ما ألمح اليه الرضي في تعليقه على الآية الكريمة : (ولله ما في السموات والأرض والى الله ترجع الأمور)[١٩٧] فقال : « فإذ قال قائل : ما معنى تكرير اسم الله ـ تعالى ـ في هذه الآية ، وكان ذكره في الموضع الاول يغني عن إعادته فيما بعد ؟ قيل له : إنما أُعيد اسم الله ـ تعالى ـ ههنا للتفخيم والتأكيد ، ومن عادة العرب إذ أجروا ذكر الآمر يعتمدون تفخيمه ، ويقصدون

تعظيمه ، بأن يعيدوا لفظه مظهراً غير مضمر ، إذا كان الاضمار يطأطىء من الاسم ويضائله بقدر ما يرفع منه الاظهار ويفخمه ، وعلى ذلك قول الشاعر :

لا أرى الموت يسبق الموت شيء

لعضّ الموت ذا الغنى والفقيـرا

فلو قال : يسبقه شيء ، لكان مستقيماً ، ولكنه أعاد الاسم تفخيماً ، ولم يرض أن ثنّى ذكره حتى ثلّثه ، مبالغـة في الغـرض الذي رمـاه ، والمعنى الذي نحاه »[١٩٨] . وبعد أن يضرب أمثلة على ذلك توثّق كلامه يستشهد برأي شيخه ابن جني في هذا الموضوع إذ قال معلقاً على الآية : (فبدّل الذين ظلموا قـولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون)[١٩٩] .

قال ابن جنّي : « إنما كـرر ـ تعالى ـ ذكـر الذين ظلموا ، ولم يقل : وأنزلنا عليهم لأن ذلك أشدّ مبالغة في ذمّهم ، وأدخل في باب التفحيش لذكرهم ،

ولأن اظهار اسم المستحق للعقاب مع الاخبار بوقوعه به أبلغ من إضماره وأجدر بخوف الخائف من مشاركته في وجه استحقاقه » . ويخلص الرضي الى القول : « وفي الجملة فالمظهر أفخم من المضمر ، وينبغي ألاّ يوضع اسم الله إلاّ في مواضع التفخيم ومظان التعظيم ، فلذلك حسن تكريره في هذه الآية ، لأن قوله ــ تعالى ــ : (والى الله ترجع الأمور) دال على عظم ملكه وقوة سلطانه ، وذلك موضع تفخيم ، فحسن فيه التكرير »[٢٠٠] .

وهكذا يرى الرضي ان أسلوب التكرير يفيد معنى التفخيم والتأكيد والمبالغة والتفحيش والتخويف في مواضع التحذير من العقاب .

ويعقد الرضي مسألة ١٨ في كتابه (حقائق التأويل)[٢٠١] الذي يقوم على ما يزيد على الثلاثين مسألة يبحث فيها متشابهات القرآن ، في تلك المسألة يبحث الرضي زيادة الواو في مواضع من القرآن

مفنداً حجج من زعم انه لا فائدة لها مستشهداً بآراء العلماء في ذلك . وها أنا ذي أذكر طرفاً مما قال يتضح فيه سؤال السائل وجواب المجيب ، قال الرضي :«ومن سأل عن معنى قوله تعالى : (إنّ الذين كفروا وماتوا وهم كفّار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به)[٢٠٢] فقال : وجه الكلام أن يقول : (لو افتدى به) بغير الواو ، فما معنى دخول الواو ههنا والكلام غير مضطر اليها ؟ فالجواب : ان في ذلك أقوالاً للعلماء »[٢٠٣] . ويورد الرضي هذه الأقوال، لكنه يذهب مذهب المبرد ويتبع نهجه في جملةالحروف المزيدة ، وهو : اعتقاد انه ليس شيء من الحروف جاء في القرآن إلاّ لمعنى مفيد .

ثم يعود الى تفسير الآية المذكورة ليصل الى غايته من ذلك وهي إثبات فائدة ذكر الواو ، فيقول: (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفّار فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهباً) على وجه الصدقة والقربة ما كانوا مقيمين على كفرهم ثم قال تعالى : (ولو

افتدى) بهذا المقدار أيضاً ـ على عظم قدره ـ من العذاب المعدّ له ما قبل منه ، فكأنه ـ تعالى ـ لما قال : فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ، عمّ وجوه القبول بالنفي ، ثم فصل ـ سبحانه ـ لزيادة البيان ، ولو لم ترد هذه الواو لم يكن النفي عاماً لوجوه القبول ، وكان القبول كأنه مخصوص بوجه الفدية ، دون غيرها من وجوه القربة . فدخلت هذه الواو للفائدة التي ذكرناها من التفصيل بعد الجملة »(٢٠٤) .

بهذا الجواب وغيره يثبت الرضي ان زيادة الواو وغيرها من الحروف في القرآن الكريم محمولة على زيادة المعاني والاغراض ، وبعبارة أخرى ، انللاطناب فوائد يقتضيها الحال ويتطلبها المعنى ، لذا فالاطناب مطلوب في مقامه كما ان الايجاز مطلوب في موضعه، والاثنان من أسرار بلاغة القرآن ودلائل اعجازه .

علم البديع :

وهو العلم الثالث من علوم البلاغة يأتي بعد علم المعاني وعلم البيان ، ويعرّفه القزويني بقوله : « هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة »(٢٠٥) . وضمّ علم البديع فنوناً كثيرة بلغت عند أصحاب البديعيات مائة وخمسين(٢٠٦) . تنقسم الى قسمين : محسّنات لفظية ، ومحسّنات معنوية .

تعرض الرضي لبعض الفنون التي عدّها المتأخرون من البديع ، لكنها كانت عنده من أنواع المجاز وهو مما يدخل في علم البيان ، متفقاً في مذهبه هذا مع المتقدمين ومما تعرض له :

المشاكلة :

ومعناها في اللغة : المشابهة والموافقة ، وفي الاصطلاح : ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في

صحبته[٢٠٧] . كقوله تعالى : (وجزاء سيّئة سيّئة مثلها)[٢٠٨] . والاصل : وجزاء سيئة عقوبة مثلها،وقد استبدلت كلمة (عقوبة) بكلمة (سيئة) لمشاكلة كلمة (سيئة) في صدر الآية .

والرضي يعرض لشواهد من المشاكلة في القرآن الكريم ، ويشرحها على انها مجاز أو استعارة ، من دون أن يسميها باسمها الاصطلاحي . من ذلك قوله ـ تعالى ـ : (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين)[٢٠٩] . يقول الرضي : « وهذه استعارة ، لأن حقيقة المكر لا تجوز عليه ـ تعالى ـ والمراد بذلك انزال العقوبة بهم جزاءً على مكرهم ، وإنما سمي الجزاء على المكر مكراً للمقابلة بين الالفاظ على عادة العرب في ذلك ، قد استعارها لسانهم واستعادها بيانهم »[٢١٠] .

ومن المشاكلة أيضاً قوله ـ تعالى ـ (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك)[٢١١] قال الرضي مبيّناً

المشاكلة شرحاً : « وهــذه استعارة ، لأن القديـــم ــ سبحانه ــ لا نفس له ، والمراد تعلم ما عندي ولا أعلم ما عندك »[٢١٢] .

وقال معلقاً على قوله تعالى : (الله يستهزئ بهم ويمدهـــم في طغيانهم يعمهـــون)[٢١٣] : « وهـــاتان استعارتان . فالاولى منهمـــا اطـــلاق صفة الاستهزاء ســـبحانه ، والمـــراد بها أنه ــ تعالى يجـــازيهم على استهزائهم بارصاد العقوبة لهم ، فسمى الجـــزاء على الاستهزاء باسمه ، إذ كان واقعاً في مقابلته ، والوصف بحقيقة الاستهزاء غير جائز عليه تعالى »[٢١٤] .

ألا ترى الى الرضـــي كيف عيّن فن المشـــاكلة في الآيات المذكورة ، من خلال الشرح والتطبيق من دون أن يذكر اسمه الاصطلاحي ، وذلك لأن المصطلح لم يتحدد في زمانه ، وواضح ان الرضي لم يكن يعنيه المصطلح ، وأين يقع من علوم البلاغة بقدر ما يعنيـــه أثره في معنى الكلام ، لذا نجده ينظر في أســـلوبه فيعدّه من الاستعارة لا الحقيقة .

المبالغة(٢١٥) :

وهي أن يدّعى لوصف بلوغه في الشدّة أو الضعف حداً مستحيلاً أو مستبعداً لئلا يظن انه غير متناه في الشدة أو الضعف ، وتنحصر في :

(أ) التبليغ ، إذا كان الادعاء للوصف ممكناً عقلا وعادة . و(ب) الاغراق ، إذا كان الادعاء ممكناً عقلاً لا عادة ، و(جـ) الغلو ، إذا كان الادعاء للوصف مستحيلاً عقلاً وعادة . وأمثلة الأنواع المذكورة هي على التوالي :

قول المتنبي وهو من التبليغ :

وأصرع أيّ الوحش قفيته به
وأنزل عنه مثله حين أركب

وقول الآخر ، وهو من الاغراق :

ونكرم جارنا ما دام فينا
ونتبعه الكرامة حيث مالا

وقول أبي نؤاس وهو من الغلو :

وأخفت أهل الشرك حتى انه
لتخافك النطف التي لم تخلق

ويصبح الغلو مقبولاً إذا اقترن به ما يقربه للصحة كفعل مقاربة ، نحو قوله – تعالى – : (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار)[216] . وعلى العموم فان للبلاغيين والنقاد آراءً في المبالغة ، منهم من يستحسنها ويعدّها مظهراً من مظاهر البلاغة ، ومنهم من يقبل الممكن منها ، ومنهم من لا يستسيغها .

ويتعرض الرضي لها على انها طريق للمجاز أو الاستعارة ، كما جاء في قوله – تعالى – : (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار) ، فعلّق الرضي قائلا : « وهذه مبالغة في وصف الزيت بالصفاء والخلاصة ، على طريق المجاز والاستعارة ، حتى يقارب أن يضيء من غير أن يتصل بنار ويناط بذلك »[217] .

ويعدّ الرضي قوله ـ تعالى ـ : (وجاءوا على قميصه بدم كذب)[218] استعارة على طريق المبالغة ، حيث يقول : « وهذه استعارة ، لأن الدم لا يوصف بالكذب على الحقيقة ، والمراد بذلك ـ والله أعلم ـ بدم مكذوب فيه ، والتقدير بدم ذي كذب وإنما يوصف الدم بالمصدر الذي هو (كذب) على طريق المبالغة ، لأن الدعوى التي علقت بذلك الدم كانت غاية في الكذب »[219] .

ومما يدخله الرضي في المبالغة قول الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « من شرّ ما أُعطي العبد شحّ هالع أو جبن خالع » . يقول الرضي : « أو جبن خالع ، مجاز : أي يخلع قلب الجبان ، وهذا على المبالغة في وصفه بَوهَلِ الرَّوْع ونَخَبِ الرُّوع[220] ، وليس يبلغ الجبن على الحقيقة الى أن يخلع قلب الجبان من مناطه ، ويزعجه عن قراره ، وإنما المراد بذلك ما يعرض في القلب عند الخوف من نوازع[221] الافكار ونوازع الحذار ، وعلى ذلك قوله

ـ تعالى ـ[٢٢٢] : (وإذا زاغت الابصـار وبلغـت القلوب الحناجر)[٢٢٣] .

الالتفـات :

« وحقيقته مأخوذة من التفات الانسان عن يمينه وشماله فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا ، وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة ، لأنه ينتقل فيـه من صيغة الى صيغة كالانتقال من خطاب حاضـر الى غائب ، أو من خطاب غائب الى حاضر ، أو من فعل ماضٍ الى مستقبل أو من مستقبل الى ماضٍ »[٢٢٤] .

والعرب يستكثرون من الالتفات ، ويرون الكلام إذا انتقل من أسلوب الى أسلوب أدخل في القبـول عند السامع ، وأحسن تطرية لنشاطه واملأ باستدرار إصغائه[٢٢٥] . وسمّاه ابن الأثير شجاعة العربية[٢٢٦] ، ولا يكون إلاّ لفائدة اقتضته . وهو عند ابن المعتـز أول محاسن الكلام[٢٢٧] . ومثاله قوله ـ تعالـى ـ

(الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، إياك نعبد وإياك نستعين)[٢٢٨] ، فقد التفت سبحانه من الغيبة الى الخطاب .

والرضي لم تفته الاشارة الى هذا الفن في معرض شرحه وتفسيره لبعض الآي من القرآن الكريم ، من ذلك قوله ـ تعالى ـ حكاية عن أمّ مريم (ربّ انّي وضعتها أنثى ، والله أعلم بما وضعت)[٢٢٩] . فقال الرضي مشيراً الى قراءة (وضعت) بضم التاء وسكونها: « وقرأنا لعبدالله بن عامر ولأبي بكر بن عياش عن عاصم (وضعت) بضم التاء ، ولبقية السبعة بتسكينها» وقال لي شيخنا أبو الحسن علي بن عيسى النحوي : كان أبو علي يقول : قراءة من قرأ بتسكين التاء أجود وقال :ومما يقوّي من أسكن التاء قوله ـ سبحانه ـ (والله أعلم بما وضعت) ولو كان من صلة قول أمّ مريم (ع) لكانت تقول : وأنت أعلم بما وضعت ، لأنها تخاطب الله ـ سبحانه ـ . قلت أنا : وهذا القول غير سديد لأنه لا يمتنع أن يكون ذلك من قول أمّ

مريم ، ونقول مع ذلك : (والله أعلم بما وضعت) على مجرى العادة في خطاب المعظم من العدول معه من كاف المواجهة الى هاء الكناية ، وفي القرآن مثل ذلك كثير في خطاب الله ـ تعالى ـ وخطاب غيره : من خروج عن كناية الى مواجهة ، ومن مواجهة الى كناية ، ألا ترى الى قوله ـ سبحانه ـ (الحمد لله رب العالمين) ثم قال : (إياك نعبد وإياك نستعين) ، والى قوله ـ تعالى ـ : (حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيّبة)[٢٣٠] الى غير ذلك مما في معناه »[٢٣١] .

ألا ترى الى قول الرضي المذكور كيف تضمن إشارات الى دلالة الالتفات وشواهده ؟ بالرغم من أن الرضي لم يسمّ المصطلح كعادته ، لكنه ألمح الى الالتفات في سورة الفاتحة من الغيبة الى الخطاب ، وفي سورة يونس من الخطاب الى الغيبة .

وينبّه الرضي فيما يسوقه من شواهد هذا الفن

على أسرار بلاغته وجماله إذ يعده مظهراً من مظاهر قدرة الفرد على التصرف في أقطار الكلام والتفسح في أعطان الخطاب ، ويراه شجاعة في البلاغة وابعاداً في مسالك الفصاحة ، فيقول : « وذلك مما يرد في كلام العرب وأشعارها فتعرف به قدرتها على التصرف في أقطار الكلام ... فتارة يكون مواجهة لأنه أبلغ في المخاطبة ، وتارة يكنى عن المخاطبين كما يكنى عن الغائبين ، لأن ذلك أشد تصرفاً وأغرب طريقة ومذهباً، وعلى ذلك قول الشاعر :

يا لهف نفسي كان جدة خالد
وبياض وجهك للتراب الأعفر

فانتقل من الغيبة الى المواجهة شجاعة في البلاغة وابعاداً في مسالك الفصاحة »(٢٣٢) .

وهكذا يبيّن الرضي قيمة هذا الفن ، ويصفه بأنه شجاعة في البلاغة ، ونجد ابن الأثير من بعده يأخذ عنه هذا الوصف فيسمي الالتفات بـ (شجاعة

العربية) . هذا ما كان من أمر موضوعات البلاغة التي عرضت للرضي ، وموقفه منها .

أما موقفه النقدي إزاء قضايا البلاغة ومسائلها ، فهو ظاهر بالقدر الذي يسمح به موضوع بحثه ومصادره ، فنراه يبدي رأيه في الفصاحة والأسلوب من خلال كلامه على فصاحة الفاظ القرآن الكريم ، ونظمه البديع .

فالرضي ينظر الى الالفاظ وفصاحتها وهي في سياق النظم ، يتحسس قيمتها بمقدار تناسبها وتآخيها مع أخواتها ، وبما توحيه من ظلال ، تزيد المعنى وضوحاً وقوة وتأثيراً ، وربما كان الرضي أحد مصادر عبدالقاهر الجرجاني في دراسته للنظم[٢٣٣] ، إذ يرى الاثنان ان المزيّة والفضيلة لا تكون للالفاظ من حيث هي مفردات مستقلة عن بعضها ، وإنما تثبت لها الفضيلة والفصاحة مع تركيبها ونظمها في جمل وعبارات مستوعبة لمعناها محيطة بدلالاتها .

فيقول : « ان قوله ـ تعالى ـ : (يا أرض ابلعي ماءك)[٢٣٤] أبلغ من قوله : يا أرض اذهبي بمائك ، لأن في الابتلاع دليلا على اذهاب الماء بسرعة ألا ترى ان قولك لغيرك : ابلع هذا الطعام ، أبلغ من قولك له : كل هذا الطعام ، إذا أردت منه ايصاله الى جوفه بسرعة ؟ وكذلك الكلام في قوله ـ سبحانه ـ : (ويا سماء اقلعي)[٢٣٥] لأن لفظ الاقلاع ههنا أبلغ من لفظ الانجلاء ، لأن في الاقلاع أيضاً معنى الاسراع بازالة السحاب كما قلنا في الابتلاع ، وذلك أدلّ على نفاذ القدرة وطواعية الامور من غير وقفة ولا لبثة ، هذا الى ما في المزاوجة بين اللفظين من البلاغة العجيبة والفصاحة الشريفة ، إذ يقول ـ سبحانه ـ : (يا أرض ابلعي ويا سماء اقلعي) ، ومثل هذا في القرآن أكثر من أن يشار اليه »[٢٣٦] .

ألا ترى الى الرضي كيف أطلق كلمة (البلاغة) على الالفاظ التي يوضح معناها ويقوّمها ، وهو يعرف

تماماً انها لا توصف بالبلاغة وهي مجردة عن التركيب بل توصف بالفصاحة ؟ وفي هذا دليل على أنه قصد موقعها في التعبير ، ومدى افادتها واستيفائها للمعاني، فقال : « ألا ترى ان قولك : ابلعْ هذا الطعام ، أبلغ من قولك : كلْ هذا الطعام إذا أردت منه ايصاله الى جوفه بسرعة ؟ » وقال : « لفظ الاقلاع ههنا أبلغ من لفظ الانجلاء ، لأن في الاقلاع أيضاً معنى الاسراع بازالة السحاب » .

كما انه أشار الى محاسن الكلام وبديعه الذي يحقق في سياق النظم فائدة وجمالا ، فقال : « هذا الى ما في المزاوجة بين اللفظين من البلاغة العجيبة والفصاحة الشريفة » . فاذا كان في (ابلعي) زيادة معنى ، فكيف إذا جمعت مع (اقلعي) وفي هذه أيضاً زيادة معنى ؟ من المؤكد ان الزيادة تتضاعف ، والآية بالتالي تكون أدل على نفاذ القدرة وطواعية الامور من غير لبثة ولا وقفة ، وهنا تكمن الفصاحة وتتجلّى البلاغة ويقوم الاعجاز .

وقال الرضي في تعليقه على الآية : (تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل)[٢٣٧] وهي عبارة عجيبة عن ادخال هذا على هذا ، وهذا على هذا ، والمعنى ان ما ينقصه من النهار يزيده في الليل ، وما ينقصه من الليل يزيده في النهار ، ولفظ الايلاج ههنا أبلغ لأنه يفيد ادخال كل واحد منهما في الآخر بلطيف الممازجة وشديد الملابسة[٢٣٨] .

وفي قوله ــ سبحانه ــ : (فالق الأصباح وجاعل الليل سكناً)[٢٣٩] قال الرضي : « وقوله ــ سبحانه ــ (فالق الأصباح) أبلغ من قوله : شاقّ الاصباح ، إذ كانت قوة الانفلاق أشد من قوة الانشقاق ، ألا تراهم يقولون : انشقّ القمر وانفلق الحجر ؟ »[٢٤٠] .

وقال الرضي في بديع نظم القرآن وأسرار البلاغة : « ومن غرائب القرآن وبدائعه وعجائبه وغوامضه قوله ــ سبحانه ــ : (مصدّقاً بكلمة من

الله)[٢٤١] وقوله : (ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم)[٢٤٢] ، المراد (بكلمة) ، عيسى ـ عليه السلام ـ والعلماء مختلفون في هذه اللفظة ، فمن بعض ما قيل في ذلك : ان بشارة الله ـ تعالى ـ سبقت بالمسيح ـ عليه السلام ـ في الكتب المتقدمة فأجرى ـ تعالى ـ اسم الكلمة عليه لتقدم البشارة به ، والبشارة إنما تكون بالكلام[٢٤٣] ، وفي الآية الثانية ، قال الرضي : « فذكّر على المعنى الذي ذكرناه لأنه ـ سبحانه ـ لو قال : اسمها المسيح لألبس اللفظ إذ لم يتقدم من ذكر اسم المسيح ـ عليه السلام ـ ما يؤمن معه الالباس . فلما جاء في السورة التي يذكر فيها النساء ما أمن معه الالباس أعطى ـ سبحانه ـ الكلمة حقها ، ووفاها قسطها ، فأنّث ضميرها ، لأن ذكر المسيح ـ عليه السلام ـ قد تقدم فأمن اللبس وارتفع الشك ، قال ـ سبحانه ـ : (إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، وكلمته ألقاها الى مريم

وروح منه)[٢٤٤] . فقال : ألقاها ، ولم يقل : ألقاه لما تقدمت أسماء المسيح ، وتعريفاته التي تؤمن من الالباس ، وهي المسيح وعيسى بن مريم ، وإذا نظرت بعين عقلك بان لك ما بين الموضعين من التمييز البيّن والفرق النيّر ، وعجبت من عمائق قعر هذا الكتاب الذي لا يدرك غورها ولا ينضب بحرها ، فانه كما وصفه ـ سبحانه ـ بقوله : (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه)[٢٤٥] . ومن أحسن ما قيل في تفسير ذلك انه « لا يشبه كلاماً تقدمه ، ولا يشبهه كلاماً تأخر عنه ، ولا يتصل بما قبله ، ولا يتصل به ما بعده، فهو الكلام القائم بنفسه ، البائن من جنسه ، العالي على كل كلام قرن اليه وقيس به ، وانه ليرى فيه عند الانفراد بتلاوته من غرائب الفصاحة وثواقب البلاغة، ونوادر الكلم ، وينابيع الحِكَمْ ما يعجز الخواطر عن الكلام عليه . وفيه من أمثال ما ذكرناه ما لاتحصى أعداده ولا تبلغ آماده . ولعلي أن أورد في أثناء هذا

الكتاب من هذا المعنى ما يكون غرراً شارخة ولمعاً ثاقبة منبّهاً على غوامضه ومشيراً الى مواضعه مما لا أعلم سابقاً سبقني الى استنباطه، ولا رامياً رمى قبلي في أغراضه »[٢٤٦] .

الخاتمة

وهكذا تبلغ صحبتنا للشريف الرضي نهايتها ، وأرجو أن تكون قد حققت غايتها ، هذه الغاية هي تعريف الباحثين في البلاغة العربية بأديب طالما عرف واشتهر بالشعر ، ولكنه لم يُعرف بلاغياً ، صحيح أنه لم يكن منظّراً في البلاغة ، ولم يوقفنا على قواعدها وقوانينها ، لكنه كان صاحب أول خطوة في التأليف البياني المستقل ، قال : « لا أعلم سابقاً سبقني الى استنباطه ، ولا رامياً رمى قبلي في أغراضه »[٢٤٧] إذ تناول مجازات القرآن الكريم والمجازات النبوية بالشرح والتطبيق ، ومن هنا كانت القيمة العلمية والتأريخية لعمله . واليه يعود الفضل في حصر موضوعات البيان ، وتحديد مفهومها ، فكان رائداً هيّأ لتأصيل المصطلح البياني من خلال ذكر شواهده

في القرآن والحديث ، وشرح هذه الشواهد ، فكان ذلك غرراً شارخة ولمعاً ثاقبة •

وتعدّ دراسته البلاغية في كتابيه (تلخيص البيان في مجـازات القرآن) و (المجازات النبوية) حلقـة رابطة في سلسلة الدراسات البلاغية ، وجهت الدرس البلاغي نحو العلمية والتخصص ، كما نجد في (سرّ الفصاحة) لابن سنان الخفاجي المتوفى عام ٤٦٦ هـ ، وفي (دلائل الاعجاز) و (أسرار البلاغة) لعبدالقاهر الجرجاني ، المتوفي عام ٤٧١ هـ •

وكلمتي للباحثين عـن الأصيل في التراث العربي أن يبحثوا في جوانب معرفة الشريف الرضي ، حيث ان لديه الكثير مما يستحق البحث •

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين •••

الهوامش :

(١) الشريف الرضي : حقائق التأويل في متشابه التنزيل، ج٥/ص/٤٧ ، مقدمة الشارح .

(٢) الشريف الرضي : نهج البلاغة ، بشرح أبي الحديد المدائني/مقدمة الشارح .

(٣) الاميني : الغدير ج٤/١٦٢ .

(٤) حقائق التأويل في متشابه التنزيل ج٥/ص٧٨-٨٣

(٥) الشريف الرضي : المجازات النبوية ص٩ .

(٦) وفيات الاعيان ج٤/ص٤١٦ .

(٧) المجازات النبوية/المقدمة ص١٠ .

(٨) اللمعة : القطعة المضيئة من الشيء .

(٩) العرنين : أول الشيء .

(١٠) المجازات النبوية ص١٠ .

(١١) نهج البلاغة /المقدمة .

(١٢) المصدر نفسه .

(١٣) وفيات الاعيان ج٤/٤١٦ .

(١٤) قال ـ صلى الله عليه وسلم : « أنا مدينة العلم وعلي بابها » . انظر : المجازات النبوية ص٢٠٧ . والجامع الصغير ـ للسيوطي ج١/١٠٨ .

(١٥) وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « أنا أفصح العرب بيد أني من قريش » .
(١٦) أشار أبو هلال العسكري الى تلك الغايات في كتابه (الصناعتين ص١ـ٥) .
(١٧) البيان والتبيين ج١/ص١١٤ .
(١٨) الصناعتين /ص١ .
(١٩) إشارة الى الآية الكريمة « فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه » . سورة الكهف/الآية ٧٧ .
(٢٠) إشارة الى الآية الكريمة « واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها .. » يوسف/٨٢ .
(٢١) تأويل مشكل القرآن ص١١ ، ص٩٩ـ١٠٠ .
(٢٢) تأويل مشكل القرآن ص١٦ .
(٢٣) الحيوان ج٥/ص٤٢٦ .
(٢٤) د. محمد رجب البيومي : خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم ص١٩٠ .
(٢٥) سورة إبراهيم /الآية ٩ .
(٢٦) سورة نوح/الآية ٧ .
(٢٧) الشريف الرضي : تلخيص البيان في مجازات القرآن ص١٨٠ـ١٨٢ .
(٢٨) سورة ص/الآية ٢٣ .
(٢٩) تلخيص البيان في مجازات القرآن ص٢٧٩ .
(٣٠) المائدة/٦٤ .
(٣١) الشريف الرضي : المجازات النبوية ص٤٦ـ٤٧ .

(٣٢) النساء/٣ .

(٣٣) قال محمد الرضا آل كاشف الغطاء شارح كتاب (حقائق التأويل) : « وجوب الاقتصار على الاربع في النكاح الدائم مجمع عليه بين علماء الاسلام إلا ما ينقل عن القاسمية إحدى فرق الزيدية من جواز التسع لمكان الواو ، وقال الشيخ أبو جعفر محمد ابن الحسن الطوسي : هذه حكاية الفقهاء عنهم ، ولم أجد أحداً من الزيدية يعترف بذلك » انظر : حقائق التأويل في متشابه التنزيل جـ٥/ص٣٠٩ الحاشية .

(٣٤) الحج /١٥ .

(٣٥) جماماً : امتلاءً .

(٣٦) حقائق التأويل في متشابه التنزيل ٥/٣٠٩-٣١١

(٣٧) لسان العرب (بين) .

(٣٨) البيان والتبيين ١/٧٦ .

(٣٩) انظر : النكت في اعجاز القرآن ص٧٦ ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن الكريم .

(٤٠) دلائل الاعجاز ص٤١ .

(٤١) السكاكي : مفتاح العلوم ص٧٧ .

(٤٢) البيان والتبيين ١/٧٧ .

(٤٣) النكت في اعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ص٧٦ .

(٤٤) المصدر السابق ١٠٧ .

(٤٥) الصاحبي ص١٩٧ .

(٤٦) الخصائص جـ٢/٤٤٢ .
(٤٧) أسرار البلاغة ص٣٢٤-٣٢٦ .
(٤٨) أسرار البلاغة ص٣٦٥ .
(٤٩) أسرار البلاغة ص٣٢٥ .
(٥٠) الحيوان جـ٥/ص٢٥ ، البيان والتبيين جـ١/ ص١٥٣ .
(٥١) الحيوان جـ٥/ص٣١ ، ٣٢ .
(٥٢) تأويل مشكل القرآن ص١٠٣-١٣٤ ، ١٣٥-١٨٤
(٥٣) تأويل مشكل القرآن ص١٣٥ .
(٥٤) النكت في اعجاز القرآن ص٨٠ ، ٨٥ .
(٥٥) الخصائص ٢/٤٤٢ .
(٥٦) تلخيص البيان ص٢٧٥ ، ٣١٨ ، ٣٢٦ ، المجازات النبوية ١٧-١٨ ، ١٥٩ .
(٥٧) البقرة/٢٩ .
(٥٨) تلخيص البيان ص١١٥ .
(٥٩) البقرة/١٠٢ .
(٦٠) تلخيص البيان ١١٧ .
(٦١) الفرقان /٢٣ .
(*) يلمح الرضي الى الاستعارة ، إذ انها مجاز علاقته بالحقيقة المشابهة .
(٦٢) تلخيص البيان ٢٤٩ .
(٦٣) يس/٦٦ .
(٦٤) تلخيص البيان ٢٧٥ .

(٦٥) المجازات النبوية ١٧–١٨ ، ١٥٩ .
(٦٦) **الرحمن/٣١** .
(٦٧) التمجيع : الممازحة والماجنة في العمل .
(٦٨) التلخيص ٣٢٢–٣٢٣ . وانظر المصدر نفسه ص٣٢٩ .
(٦٩) **القمر ١١ ، ١٢** .
(٧٠) تلخيص البيان ٣١٨ .
(٧١) الحديد/٣ .
(٧٢) **تلخيص البيان ٣٢٦** .
(٧٣) المجادلة/٢١ .
(٧٤) تلخيص البيان ٣٢٩ .
(٧٥) تلخيص البيان ٣٢٦ .
(٧٦) انظر : تلخيص البيان في مجازات القرآن والمجازات النبوية .
(٧٧) البقرة/١٠ .
(٧٨) **تلخيص البيان ١١٣** .
(٧٩) المجازات النبوية ص٢٣ .
(٨٠) **الاسراء/٢٤** .
(٨١) تلخيص البيان ٢٠٠ .
(٨٢) البقرة/١٣٨ .
(٨٣) تلخيص البيان ١١٨ ، وانظر المصدر نفسه ١٢٥ .
(٨٤) المائدة/٤٨ .
(٨٥) تلخيص البيان ١٣٣ .

(٨٦) المجازات النبوية ٣٠ ، والنحائز : جميع نحيزة وهي الطبيعة والغريزة : الطبيعة أيضاً ٠

(٨٧) تلخيص البيان ٢٢٠ ، ٢٤٠ ، المجازات النبوية ٢٥٠ ، ٣٨١ ، ٤٢١ ، ٤٤٢ ٠

(٨٨) رابطة العالم الاسلامي ص٥٢ ، عن د٠ محمد حسن شرشر في دراسات بلاغية في القرآن الكريم والحديث الشريف ٠

(٨٩) البقرة/٢٥٧ ٠

(٩٠) تلخيص البيان ١٢١ ٠

(٩١) تلخيص البيان ١٢١ ٠

(٩٢) المصدر نفسه ٠

(٩٣) ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ص٨٥-٩٤ ٠

(٩٤) الفرقان/٢٣ ٠

(٩٥) ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ص٨٦ ٠

(٩٦) تلخيص البيان ٢٤٩ ٠

(٩٧) المصدر السابق ٠

(٩٨) مفتاح العلوم ١٩٥-١٩٦ ٠

(٩٩) الايضاح ١٥٤ ٠

(١٠٠) انظر : السيوطي في كتابه (الاتقان في علوم القرآن) ج٢/٣٦-٤٠ ٠

(١٠١) البلاغة والتطبيق ص٣٣٦ ٠

(١٠٢) هود/٩٩ ٠

(١٠٣) آل عمران/٢١ ٠

(١٠٤) تلخيص البيان ١٦٧-١٦٨ .

(١٠٥) هـود/١١٩ .

(١٠٦) تلخيص البيان/١٦٨ .

(١٠٧) هـود/٣٧ .

(١٠٨) تلخيص البيان ١٦١ .

(١٠٩) يونس/٢ .

(١١٠) تلخيص البيان /١٥٣ .

(١١١) انظر : البقرة : ١١٢ ، النساء /١٠ ، ٣٣ ، آل عمران /١٨٢ ، النحل/٩٤ ، ١٠٣ ، الكهف/١٦ ، ٥٧ ، الحديد/٢٩ ، يونس/٢٤ .

(١١٢) المجازات النبوية/٣٦ .

(١١٣) المجازات النبوية/٦٧ .

(١١٤) أسرار البلاغة ٣٧٦ .

(١١٥) انظر : الايضاح ص١٦ .

(١٦) القارعـة/٧ .

(١١٧) الانعـام/٦ .

(١١٨) يوسف/٤٨ .

(١١٩) تلخيص البيان ١٧٢ .

(١٢٠) سـبأ/٣٣ .

(١٢١) تلخيص البيان ٢٦٧ .

(١٢٢) الضحى/١ ، ٢ .

(١٢٣) تلخيص البيان ٣٦٧ .

(١٢٤) النسـاء/٩٤ .

(١٢٥) تلخيص البيان ١٣٥ .
(١٢٦) هـود/٩٤ .
(١٢٧) تلخيص البيان ١٦٦-١٦٧ .
(١٢٨) الحـاقة/٢١ .
(١٢٩) تلخيص البيان ٣٤٤ .
(١٣٠) المحول جمع محل . وهو الجدب .
(١٣١) المجازات النبوية ٤٢ .
(١٣٢) دلائل الاعجاز ٥٢ .
(١٣٣) الايضـاح ١٨٣ .
(١٣٤) فيما يخص الانواع انظر : مفتاح العلـوم ١٩٠ ، الايضاح ١٨٣-١٨٤ .
(١٣٥) دلائل الاعجاز ٥٧ .
(١٣٦) الاسـراء/٢٩ .
(١٣٧) تلخيص البيان ٢٠٠ .
(١٣٨) الصافات/٤٨ ، ٤٩ .
(١٣٩) تلخيص البيان ٢٧٧ .
(١٤٠) انظر : ابن قتيبة في عيون الاخبار ج٤/ص٢٢ ، والمرزوقي في شرح الحماسة ج٣/٢٣٨ .
(١٤١) القـلم/٤٢ .
(١٤٢) تلخيص البيان ٣٤١ .
(١٤٣) الطارق/١ ، ٢
(١٤٤) تلخيص البيان ٣٦٣ .
(١٤٥) المجازات النبوية ٤١٩ .

(١٤٦) أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة ٢٤٧ .
(١٤٧) النحـــل/٧٧ .
(١٤٨) البقرة/٢٢ .
(١٤٩) تلخيص البيان ١١٥ .
(١٥٠) آل عمران /٧ .
(١٥١) تلخيص البيان ١٢٢ .
(١٥٢) النور/٣٥ .
(١٥٣) تلخيص البيان ٢٤٥ .
(١٥٤) المجازات النبوية ١٩ .
(١٥٥) المجازات النبوية ٣٣ .
(١٥٦) دلائل الاعجاز ص٢
(١٥٧) مفتاح العلوم ٧٧ .
(١٥٨) الايضاح ص٩ .
(١٥٩) المصدر نفسه .
(١٦٠) النكت في اعجاز القرآن ص٧٦ .
(١٦١) نهاية الايجاز في دراية الاعجاز ١٤٥ .
(١٦٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ج٢/١٢٨
(١٦٣) العسكري : الصناعتين ١٩٠ .
(١٦٤) المثل السائر ج٢/٧٨ .
(١٦٥) البقرة/١٧٩ .
(١٦٦) حقائق التأويل في متشابه التنزيل ١٧٠ .
(١٦٧) المثل السائر ج٢/٢٧٥ ، الطراز ٢/١١٩ .
(١٦٨) دلائل الاعجاز ١٧٠ .

(١٦٩) انظر : ابن أبي الاصبع المصري في بديـع القـرآن ١٧٦-١٧٨ .
(١٧٠) بديع القرآن ١٨٠ .
(١٧١) يوسف/٨٢ .
(١٧٢) ص/٣٢ .
(١٧٣) حقائق التأويل في متشابه التنزيل ص١٧٠ .
(١٧٤) الواقعة/٢ .
(١٧٥) تلخيص البيان ٣٢٥
(١٧٦) هـود/٤٦ .
(١٧٧) حقائق التأويل/١٠٨ .
(١٧٨) هـود/٨٧ .
(١٧٩) تلخيص البيان ١٦٦ .
(١٨٠) آل عمران /١٦٣ .
(١٨١) تلخيص البيان ١٢٦ .
(١٨٢) البقـرة/٩٣ .
(١٨٣) تلخيص البيان ١١٧ .
(*) انظر تلخيص البيان ١٤١-١٤٣ .
(١٨٤) الظئر : العاطفة على ولد غيرها ، المرضعة له .
(١٨) المجازات النبوية ٣٨٣-٣٨٤ .
(١٨٦) هـود/٨٠ .
(١٨٧) تلخيص البيان ١٦٣ .
(١٨٨) الحـج/٤٦ .
(١٨٩) تلخيص البيان ٢٣٩ .

(١٩٠) البقرة/١٧٤ .

(١٩١) تلخيص البيان ١١٩ .

(١٩٢) انظر : حقائق التأويل ٣٠٩-٣١١ .

(١٩٣) آل عمران/٢٨ ، ٣٠ .

(١٩٤) حقائق التأويل ٨٢ ، ٨٣ .

(١٩٥) معانـي القرآن جـ١/١٧٧ ، جـ٢/٢٣٤ ، جـ٣/ ٢٨٧ . وانظر ابن قتيبة : تأويل مشـكل القرآن ١٨٠ ، الباقلاني : اعجاز القرآن ١٦٠ .

(١٩٦) مجاز القرآن جـ١/١٢ .

(١٩٧) آل عمران/١٠٩ .

(١٩٨)

(١٩٩) البقرة/٥٩ .

(٢٠٠) حقائق التأويل ٥/٢١٤-٢١٥ .

(٢٠١) ص/١٦٥ .

(٢٠٢) آل عمران /٩١ .

(٢٠٣) حقائق التأويل ٥/١٦٥-١٧١ .

(٢٠٤) المصدر نفسه ص١٧٢ .

(٢٠٥) الايضاح ص٩ ، ص١٩٢

(٢٠٦) انظر : صفي الدين الحلي : النتائج الالهيـة في شرح الكافية البديعية .

(٢٠٧) خزانة الادب ٣٥٦ ، أنوار الربيع ٥/٢٨٤ .

(٢٠٨) الشـورى/٤٠ .

(٢٠٩) آل عمران/٥٤ .

(٢١٠) تلخيص البيان ١٢٣ ٠
(٢١١) النساء/١١٦ ٠
(٢١٢) تلخيص البيان ١٣٥ ٠
(٢١٣) البقرة/١٥ ، والآية التي تسبقها هي : (إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا الى شياطينهم قالوا انّا معكم إنما نحن مستهزئون) البقرة/١٤ ٠
(٢١٤) تلخيص البيان ١١٣ ٠
(٢١٥) انظر : الايضاح ٢٠٧ ٠
(٢١٦) النور/٣٥ ٠
(٢١٧) تلخيص البيان ٢٤٥ ٠
(٢١٨) يوسف/١٨ ٠
(٢١٩) تلخيص البيان ١٧٠ ٠
(٢٢٠) الوهل : الضعف والفزع ، والروع بفتح الراء : الخوف ، والروع بضم الراء : القلب والنفس ، والنخب بفتحتين : الجبن ٠
(٢٢١) النزغ : الوسوسة والافساد ٠
(٢٢٢) الاحزاب/١٠ ٠
(٢٢٣) المجازات النبوية ٢٩٣ ٠
(٢٢٤) ابن الاثير : المثل السائر ج٢/ص٤ ٠
(٢٢٥) انظر السكاكي في مفتاح العلوم ٩٥ ٠ والزمخشري في الكشاف ج١/١٢ ٠
(٢٢٦) المثل السائر ٢/٤ ٠
(٢٢٧) البديع ٥٨ ٠

(٢٢٨) الفاتحة ٢ـ٥ .

(٢٢٩) آل عمران/٣٦ .

(٢٣٠) يونس/٢٢ .

(٢٣١) حقائق التأويل ٨٨ .

(٢٣٢) حقائق التأويل ٣٥٧ .

(٢٣٣) في دلائل الاعجاز .

(٢٣٤) هود/٤٤ .

(٢٣٥) السورة نفسها .

(٢٣٦) تلخيص البيان ١٦٢ .

(٢٣٧) آل عمران/٢٧ .

(٢٣٨) تلخيص البيان ١٢٣ .

(٢٣٩) الانعام/٩٦ .

(٢٤٠) تلخيص البيان ١١٨ .

(٢٤١) آل عمران /٣٩ .

(٢٤٢) آل عمران/٤٥ .

(٢٤٣) تلخيص البيان ١٢٣ .

(٢٤٤) النساء/١٧١ .

(٢٤٥) فصلت/٤٢ .

(٢٤٦) حقائق التأويل ١٠٢ـ١٠٣ .

(٢٤٧) حقائق التأويل في متشابه التنزيل ١٠٢ـ١٠٣ .

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- الاتقان في علوم القرآن ـ للسيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م .
- أسرار البلاغة ـ لعبدالقاهر الجرجاني ، بشرح أحمد مصطفى المراغي ، مطبعة الاستقامة بمصر ١٩٤٨ م.
- أنوار الربيع في أنواع البديع ـ لابن معصوم المدني ، تحقيق شاكر هادي شكر ، النجف ١٩٦٨ م.
- الايضاح في علوم البلاغة ـ للقزويني ، من منشورات مكتبة النهضة ـ بغداد .
- البديع ـ لابن المعتز ، نشرة كراتشيتوفسكي ،الطبعة الثانية بالاوفست ببغداد ١٩٧٩ م.
- بديع القرآن ـ لابن أبي الاصبع المصري ، تحقيق حفني محمد شرف ، الطبعة الثانية ، مصر .
- البلاغة والتطبيق ـ د. أحمد مطلوب ود. كامل حسن البصير ، بغداد ١٩٨٢ م.
- البيان والتبيين ـ للجاحظ ، تحقيق عبدالسلام هارون ـ ط الثالثة ، مؤسسة الخانجي بالقاهرة .

- تأويل مشكل القرآن - لابن قتيبة ، شرح أحمد صقر، المكتبة العلمية ، المدينة المنورة ١٩٨١ ٠
- تلخيص البيان في مجازات القرآن - للشريف الرضي، تحقيق محمد عبدالغني حسن ، القاهرة ١٩٥٥ ٠
- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير - للسيوطي ط الرابعة ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ٠
- جواهر البلاغة - لاحمد الهاشمي ، الطبعة الثانية عشرة ، نشرة دار إحياء التراث ، لبنان ٠
- حقائق التأويل في متشابه التنزيل - للشريف الرضي، بشرح محمد الرضا آل كاشف الغطاء ، النجف ١٩٣٦ ٠
- الحيوان - للجاحظ ، تحقيق عبدالسلام هارون ، نشر دار الكتاب العربي ، لبنان ، ط الثالثة ١٩٦٩ ٠
- خزانة الادب - لابن حجة الحموي ، القاهرة ١٣٠٤هـ
- الخصائص - لابن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، القاهرة ١٩٥٢ م٠
- خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم - د٠ محمد رجب البيومي/سلسلة البحوث الاسلامية ، مصر ١٩٧١ م٠
- دراسات بلاغية في القرآن الكريم والحديث الشريف - د٠ محمد حسن شرشر - القاهرة ١٩٧٨ م٠
- دلائل الاعجاز - لعبدالقاهر الجرجاني ، شرح محمد عبدالمنعم خفاجي ، ط الاولى ، القاهرة ١٩٦٩ م٠

- شرح الحماسة ـ للمرزوقي ، نشره أحمد أمين وعبدالسلام هارون ، ط الثانية ، القاهرة ١٩٦٧ م٠
- الصاحبي ـ لابن فارس ، تحقيق د٠ مصطفى الشويمي بيروت ١٩٦٤ م٠
- الصناعتين ـ لابي هلال العسكري ، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، ط الاولى بمصر ١٩٥٢ م٠
- عيون الاخبار ـ لابن قتيبة ، دار الكتب ، القاهرة ١٩٢٥ م٠
- الغدير ـ للاميني ، النجف ١٣٦٥ هـ٠
- الكشاف ـ للزمخشري ، القاهرة ، ١٩٥٣ م٠
- لسان العرب ـ لابن منظور ، تصنيف يوسف خياط، دار لسان العرب ، بيروت .
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ـ لضياءالدين ابن الاثير ، تحقيق د٠ أحمد الحوفي ود٠ بدوي طبانة، مطبعة نهضة مصر ١٩٥٩ م٠
- مجاز القرآن ـ لابي عبيدة معمر بن المثنى ، تحقيق د. فؤاد سزكين ، القاهرة ، ١٩٥٥ م٠
- المجازات النبوية ـ للشريف الرضي ، تحقيق طه محمد الزيني ، نشرة مؤسسة الحلبي بالقاهرة ٠
- معاني القرآن ـ للفراء ، عالم الكتب ، بيروت .
- مفتاح العلوم ـ للسكاكي ، ط الاولى ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، بمصر ١٩٣٧ م٠

- النكت في اعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ـ للرماني والخطابي والجرجاني ، بتحقيق محمد خلف الله ود. محمد زغلول سلام ، مصر .

- نهج البلاغة ـ للشريف الرضي ، بشرح ابن أبي الحديد ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مصر ١٩٥٩ م .

- وفيات الاعيان ـ لابن خلكان ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار الثقافة ، لبنان .

طبـع بمطابع دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد

الفهرس

تنويه: هذا الفهرس ليس من أصل الكتاب ؛ وإنما أعددته تسهيلاً للوصول الى المواضيع .

م. سرمد حاتم شكر السامرائي

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٩٠٤)
لسنة ١٩٩٠

الموسوعة الصغيرة

سلسلة ثقافية
تتناول مختلف العلوم
والفنون والآداب

رئيس التحرير:
موسى كريدي
سكرتير التحرير:
ماجد اسد

دار الشؤون الثقافية العامة
وزارة الثقافة والإعلام

السعر نصف دينار